حكومة اقليم كوردستان — العراق

وزارة التربية

المديرية العامة للمناهج والمطبوعات

التربية الأسلامية و معرفة الأديان

للصف الحادي عشر ألاعدادي

بفرعيه العلمي والادبي

والمرحلة الثانية للدراسة المهنية والمعاهد

الاعداد والمراجعة العلمية

لجنة في وزارة التربية

ترجمـة

عبدالله عبدالرحمن بابان

الطبعة الثانية ١٤٣٧هـجرية ٢٠١٦ميلادية ٢٧١٦ كوردية

الاشراف العلمي : محسن جمال سيد احمد البرزنجي

الاشراف الفني على الطبع : عوسمان پيرداود كواز - ئارى محسن احمد

الغـــــلاف : عادل زرار امين

التصميم الداخلي وارشيف الصور وتنفيذ التنقيح الفني: ئارى محسن احمد



المقدمة

الاساتذة الافاضل والطلبة الأعزاء، الكتاب الذي بين ايديكم هو المنهج الجديد لمادة (التربية الاسلامية و معرفة الاديان) والمقرر من قبل وزارة التربية لحكومة اقليم كوردستان، للصف الحادي عشر الاعدادي والمرحلة الثانية من الدراسة المهنية والمعاهد، ويعد هذا المنهج خطوة جبارة في مجال تدريس هذه المادة، فمنذ عقود كان هذا الدرس المهم يعاني من عبء منهج كلاسيكي قديم جداً، بحيث انه لم يتمكن من تحقيق الهدف الذي تدرس هذه المادة من اجله، لذا وبعد دراسات ميدانية والأَخذ بآراء المختصين في هذا المجال رأت وزارة التربية في حكومة اقليم كوردستان ضرورة وضع منهج جديد لهذه المادة، بحيث يتلاءم مع تطورات الحياة الاجتماعية، ويرشد ابناءنا الطلبة الى معرفة حقيقة دينهم الحنيف والاطلاع كذلك على الاديان الاخرى، زيادة في المعرفة بها، لان غالبية هذه الاديان لها اتباع في كوردستان والعراق.

من خلال تدريس ودراسة مواضيع هذا الكتاب، سيتضح لكم ان محتوياته اعدت باسلوب معاصر بغية بناء رؤية متفتحة وواضحة لدى الطلبة، تبعدهم عن الفهم الخاطيء والمبتور للاسلام، كونه – اي الاسلام – دين الغالبية من افراد مجتمعنا.

لقد روعيت الحداثة في عرض المواضيع، وفي نهاية كل موضوع هناك مناقشات وأسئلة مطروحة، لكي يشارك الطلبة من خلالها في اغناء الدرس، كي لا يدخلوا الصَّفَّ كواجب مدرسي فقط؛ بل ان يبغوا الاستفادة وتربية الذات ورفع مستوى وعيهم.

نحن موقنون ان هذا المنهج سيكون من اكثر المناهج تطوراً ليس في العراق فحسب؛ بل في الشرق الأوسط كذلك، وسيكون له دور مهم في اعلاء شأن الاقليم في تطوير مسيرة الفكر الاصلاحي في مجال الفكر الاسلامي ومناهج التربية الاسلامية في المدارس.

نتمنى ان ينظر المربون الافاضل الى هذه المادة الدراسية على انها تؤدي دوراً بارزاً في تربية الاجيال الجديدة والحفاظ على هويتها، وفتح آفاق جديدة امامها، وان يدرِّسوا مواضيعها باهتمام انطلاقاً من وجهة النظر هذه، ويؤدوا واجبهم الذي لاشك لدينا في اخلاصهم لادائه.

وادناه بعض الملاحظات والتوجيهات التي يستفيد منها الزملاء المدرسون في تدريس هذه المادة:

١ – تقسيم المواضيع الى دروس هو لتسهيل عمل المدرسين، واذا دعت الحاجة الى تجاوز هذا التقسيم فبالامكان ذلك.

٢ – على الزملاء المدرسين الطلب من الطلاب الاعزاء التهيوء للدرس الجديد ليشاركوا في تقديم الدرس من خلال طرح الاسئلة عليهم حول الدرس.

٣ – الهدف من عدم حفظ النصوص هو ابعاد الطلاب عن التلقين واصابتهم بالملل، ويجب عدم درج اسئلة صعبة في الامتحانات لتخويف التلاميذ من المادة؛ لان الهدف من هذه المادة تربية الطلاب وليس تخويفهم.

٤ – طبيعة المواد تتطلب من الزملاء التدريسيين ان يعدوا انفسهم بشكل جيد–وهو الامر الذي لا نشك فيه– ليكونوا قادرين على اداء واجبهم عل اكمل وجه.

٥ – ندعو ادارات المدارس الى الاهتمام بهذه المادة بتخصيص مدرسين اكفاء، لان السياسة الجديدة لوزارة التربية في حكومة اقليم كوردستان، تتمثل في التربية الصحيحة لاجيال هذا الشعب.

٦ – ندعو الزملاء المدرسين الى الاهتمام بالاسئلة والمناقشات المدرجة في نهاية كل درس في هذا الكتاب، بهدف تمرين الطلبة على التفكر والتفكير في تحليل هذه الاسئلة وايجاد الاجوبة لها، ومما لا شك فيه ان هذا الامر سيكون مفيداً لهم في المواد الدراسية الاخرى ايضاً.

والله ولي التوفيق...

المُشرف العلمي



الفصل الاول





القسم الاول

الايمان

الدرس الاول

الايمان

الايمان:

الايمان حقيقة وشعور راسخان في القلب، وتظهر آثاره في أقوال وأفعال الانسان المؤمن، والايمان شرط لقبول الاعمال الصالحة ومفتاح ابواب الجنة.

كلمة الايمان مصدر للفعل (أمن) الذي يشيرُ الى الامن والاطمئنان النفسيين للانسان في ظلِّ الايمان، ويسهم في اسعاده، ويوفر له الاستقرار النفسي، ويبعد عنه الخوف والقلق وعدم الاستقرار، ويرشده الى برِّ الأَمان، وتدلُّ كلمة المؤمن في بعض معانيها الى ان المؤمن بعد ان يصل الى الاستقرار والراحة النفسية، يسعى لكي ينعم الآخرون ايضاً بهذه النعمة، وهو في حياته شخص يرجو الخير للآخرين ومجتمعه.

(الايمان) من وجهة نظر الاسلام نابع من القرار الحر للانسان، ولا يمكن فرضه بالقوة، كما قال تعالى:((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...)) (البقرة٢٥٦). أَي: لايُكره احد على اتباع اي دين؛ بل له حرية اختيار طريق الايمان وعبادة الخالق.

فاذا كان العلم والمعرفة عبارة عن معرفة الاشياء فقط، فانّ الايمان علاوة على كونه معرفة – وهو أمر مهم لان الايمان القوي ينبع من معرفة متعمقة – فهو بحاجة الى محبة الشخص للذي يُؤمِنُ به، لذلك بالاضافة الى المعرفة يجب ان يتوفر اساسان آخران في الايمان، وهما:

١ – المحبة.

٢ – التوكل والاعتماد.

وبهذا لا يكون الايمان الحقيقي مجرد ايمان عقلي مطلق بالله؛ بل يعرف المؤمن الله من خلال اسمائه وصفاته التي عرف نفسه بها، ويشعر بعظمته وكرمه وبنعمه ويلوذ به ويدعوه ويتوسل اليه، كما قال عزَّ من قائل:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾)) (الانفال ٢–٤)، أَي: المؤمنون الحقيقيون هم الذين عندما يذكر الله ترق قلوبهم وتخشع، وعندما تذكر آياته ومعجزاته لهم يزداد ايمانهم قوة، ويتوكلون على ربهم، وهم الذين يؤدون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله، اولئك هم المؤمنون الحقيقيون، ولهم عند الله مكانة عالية ولهم المغفرة ولهم الرزق الفسيح.

لكي يصل الانسان الى هذا المستوى من حلاوة الايمان والاستفادة منه ومن ثماره الحلوة، يجب ان يكون ايمانه نابعاً من معرفة الله، ويدخل خميلة الايمان من باب المحبة والفهم الحقيقي الصحيح لدين الله وسبل الوصول الى نيل مغفرته وعونه.

انّ احدى نتاجات الايمان والادلة على عمقه- كما تم توضيحه- اداء الصلاة باندفاع واخلاص، لان الآيات تتحدث عن اداء الصلاة، الذي ينم عن قيام ثورة روحية، كما يعلّم الانسان العطاء والاخلاص للآخرين ونبذ الانانية، فعندما يُذكر الايمان في القرآن يليه ذكر الاعمال الصالحة في كثيرٍ من المواضع.

اي ان القرآن يتحدث دوماً عن المؤمن الصالح، وهذا يوضح العلاقة الوطيدة بين الايمان والعمل الصالح للانسان، ويثبت ان هناك ترابطاً وثيقاً بين الايمان وحب الخير والاخلاق العالية، ولا يمكن الفصل بينها بسهولة، لأنّ المؤمن يؤمن بحياة اخرى وعالم آخر يبعث فيه ويحاسب على حياته هذه، وان امتحانه سيكون على العمل الصالح وحب الخير، والايمان مصدر للشعور والتعاطف الطاهر، الذي يشجع الانسان على حب الخير، ويجعل العمل الصالح جزءً لا ينفصل عن شخصية المؤمن.

اسئلة :

- ما الايمان؟
- من هو المؤمن الحقيقي؟
- ما علاقة الايمان بالراحة النفسية؟

مناقشة :

ما علاقة العمل الصالح بالايمان؟

الدرس الثاني

الايمان والسعادة

دور الايمان في اسعاد الانسان

السعادة وصف للحالة التي يشعر فيها الانسان بالرضا والراحة النفسية، وعندما لا يكون التحسر على الماضي والخوف من المستقبل منغصين لحياته.

السعادة هي الهدف الذي يسعى لتحقيقه كل انسان، لينالها في حياته كي يعيش برفاهية، لان الانسان بطبيعته التي جبله الله بها، لا يحب الالم وعسر الحال وسوء الحظ والطالع، وقد جاء الاسلام ساعياً لاسعاد الانسان في الدارين.

لكن الناس غير متفقين في التفكير في عوامل ومصادر السعادة وتحديدها، فبعضهم يرى ان السعادة في الغنى والمال والثروة، ويراها البعض في المناصب والشهرة...الخ.

ترى هل هذه الاراء صائبة؟ فهل اغنياء العالم او المسؤولون والنجوم والمشاهير سعداء في حياتهم؟ ان الواقع يخبرنا انهم ليسوا كذلك، فالسعادة ليست بهذا الشكل، لانّ الكثيرين من الاغنياء ونجوم السينما والفن والمسؤولين والمشاهير، ذكروا في مذكراتهم ووصاياهم بأنهم كانوا تعساء وغير سعداء في حياتهم، وبسبب العذاب النفسي الكثير واليأس والملل من الحياة لجأ الكثيرون منهم الى الانتحار، وسر هذه الحالة يكمن في ان السعادة والشعور بالراحة النفسية لهما علاقة بنفس الانسان وباطنه قبل كل شيء.

الموضع الحقيقي للسعادة هو قلب ونفس الانسان، لذلك من الممكن ان يكون الانسان سعيداً في حياته مع عدم امتلاكه المال والثروة او تقلده المناصب الرفيعة، ومثال الشخص الذي منح كافة مستلزمات الحياة السعيدة، وهو غير سعيد رغم ذلك ويشعر بسوء الحظ والتعاسة هو مثل الشخص الظمآن الذي يريد ان يروي ظمأه بسكب الماء على رأسه بدلاً من شربه، فمن الواضح ان عمله هذا حتى لو قلل من ظمئه لفترة محدودة، فانه لا يرتوي ويجب ان يشرب الماء ليروي ظمأه، وشعور الانسان بالسعادة يكمن في نفسه والامور المعتادة والمادية يمكن ان تكون عوامل مساعدة، لكنها غير قادرة على اسعاده لوحدها، بمعنى آخر انه في الواقع ومن وجهة نظر الاسلام هناك مسائل مادية لها دور في اسعاد الانسان ولا يمكن انكار ذلك؛ فكما قال الرسول (ﷺ) :((من سعادة ابن آدم، المرأَةُ الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح)) (رواه الامام احمد). أي: من اسباب سعادة الانسان الزوجة الصالحة والبيت الجيد ووسيلة النقل الجيدة.

لكن قبل كل هذا يجب ان يمتلك الانسان قلباً طيباً ونفساً صالحة ويشعر بالسعادة من اعماق قلبه، ليتمكن من الاستفادة بافضل شكل من النعم المادية ويتلذذ بها، جاء في رسالةٍ لاحدهم كتبها قبل ان ينتحر:((انني شاب صحيح البدن ولي زوجة اخترتها من كل قلبي وامتلك الكثير من المال،

وكل ما اشتهيه متوفر لدي، فلماذا العيش اذن اذا كانت الحال هكذا؟)). ونشير هنا الى بعض النقاط، منها:

١ – اننا نرتبط بواسطة الايمان بمصدر هذا الكون وخالق السماوات والارض اي الله سبحانه وتعالى، والانسان المؤمن بالله العارف به من خلال اسمائه الحسنى، يذهب عنه الشعور بالوحدة والضعف وعدم وجود السند والملاذ، وبامكانه التوكل على الله في السراء والضراء، فيفتح له قلبه ويدعوه ويطلب منه العون والمساعدة؛ وهذا الامر يمنحه قوة مواجهة المشكلات في الحياة، والاستقرار النفسي.

٢ – يصبح الانسان بفضل الايمان واسع الافق، ويحصل على الاجابات عن اسئلة الحياة الملحة والمهمة، مثل: من اين أَتيتُ؟ لماذا أَتيتُ وما الهدف من حياتي؟ الى اين ساعود وما مصيري بعد الموت؟

ان الانسان وبفضل الايمان وعن طريق القرآن يحصل على الاجابات الشافية لهذه الاسئلة، وهذا الامر يمنحه الامن والاستقرار ويُذهِب عنه الشعور بالتعاسة.

٣ – يعلمنا الايمان العمل الصالح، والصالحون قريبون من رحمة وعطف الله؛ كما قال جلّ شأْنه:((... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)) (الاعراف ٥٦). أَي: حقيقة ان رحمة الله قريبة من الصالحين.

وكل انسان يشعر في حياته برحمة الله وعطفه؛ يحس اكثر من غيره بالسعادة وبحلاوة الحياة.

٤ – يمنعنا الايمان من الأسى على الماضي والخوف من المستقبل، لاننا لو اردنا ان نشعر بالسعادة؛ وجب علينا الابتعاد عن هذين الامرين، وقمة السعادة هي في الجنة؛ لأَنّ الانسان لا يأسى فيها على الماضي ولا يخاف من المستقبل، فالذي سيمنح له ابدي لا ينضب، وله فيها ما تشتهيه نفسه.

٥ – نتبع بواسطة الايمان اوامر الله، وقد وعدنا جلَّ شأنه بان من فعل ذلك يكون بمنأَى عن التعاسة وسوء الحظ، كما جاء في قوله:((... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾)) (طه ١٢٣–١٢٤).أي: ان من يتبع توجيهات الخالق فانه سيهتدي ولن يضل سبيل السعادة، ومن يفعل عكس ذلك تكون حياته ملآى بالتعاسة والشقاء.

فالايمان الحقيقي يحفظ الانسان من الامراض النفسية، ويعينه في حياته على العيش بطريقة يمنح فيها روحه وجسده وعقله كامل حقوقهم، ويكون متفائلاً وايجابياً في حياته.

٦ – يدفعنا الايمان الى العمل الصالح ومساعدة الآخرين، كما يرشدنا الرسول(صلى الله عليه وسلم) الى انَّ احلى شيءٍ بعد الايمان بالله تعالى هو مساعدة الناس والسعي في قضاء حاجاتهم. ان علم النفس والتنمية البشرية الحديثين يؤكدان على ان من اهم سبل السعادة هو سعي الانسان لاسعاد الآخرين.

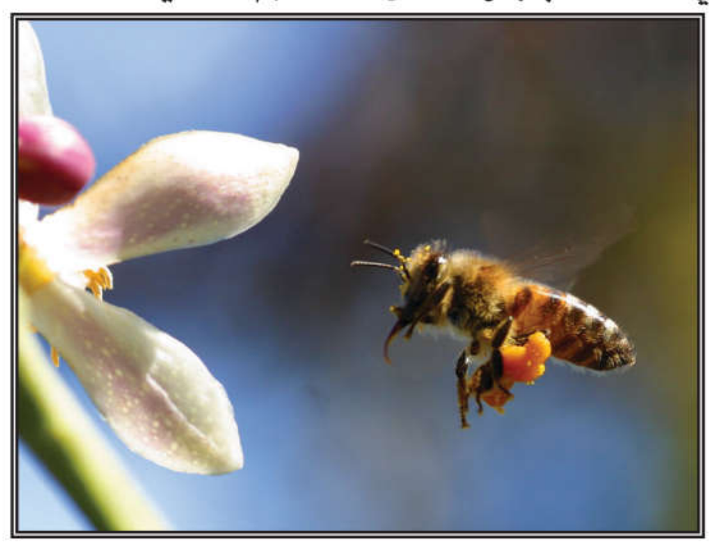
يقول الدكتور يوري ريوريكوف في كتابه (الحب والطاقة النفسية) :((المساعدة التي يقدمها الانسان للآخرين تمنحه موجة من الشعور الطيب والانفعال الايجابي، اللذين يصفيان نفسه ويطهران روحه ويداويان جروحه وشعوره الخاص ازاء نفسه، ويجعلان هذا الشعور جيداً، ويضعفان في نفسه الشعور بالنقص والضياع)).

اسئلة :

١ – ما السعادة وكيف يُشْعَر بها؟
٢ – لماذا يكون الانسان المؤمن الواعي اكثر سعادة من غيره في الحياة؟
٣ – ترى هل تكتسب السعادة بالمال والمناصب والشهرة فقط؟ لماذا؟

مناقشة :

ما تأْثير الايمان في اسعاد الشباب والحد من مشكلاتهم النفسية؟



الدّرس الثالث

الكون والحياة والانسان من منظور الاسلام

أ - الكون من منظور الاسلام:

أَوّلاً - للاسلام وجهة نظر خاصة بالنسبة الى الكون والحياة والانسان، والتي تميزه من بعض الاوجه من الاديان والعقائد الاخرى، فكل من يقرأْ القرآن يشعر بانّ الله تعالى قد جعل الكون كتاباً مفتوحاً، يستطيع الانسان عن طريق التفكر في المناظر والادلة والعلامات ان يدرك عظمة وكمال الله العظيم، فقوانين وحقائق هذا الكون ادلة على دقة ومتانة وانسجام اجزائه ومكوناته، يتحدث القرآن عن طبيعة ومكونات وبعض خصائص الكون، كما يوضح قوانينه والهدف من خلقه واساس تكوينه، كما جاء في قوله تعالى:((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (الاعراف٥٤)، أَي: حقاً ان الخالق الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثمّ جلس على العرش، يأْتي بالليل على النهار، وكأَنّ كل واحدٍ منهما يسابق الآخر، كما ان الشمس والقمر والكواكب الاخرى كلهم منصاعون لاوامره، تُرى أَليس هو خالق وحاكم هذا الكون؟ تبارك الله وهو ربُّ العالمين.

ويقول جلَّ شأْنه:((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)) (الرعد٢)

أي: ان الله الذي رفع هذه السماوات بغير اعمدة، واستوى هو على العرش، وسخر الشمس والقمر كل لمهمة خاصة وهما في حركة مستمرة، وينظم كل تلك الامور، ويشرح الادلة والعلامات كي توقنوا بيوم تلقونه فيه.

وحول الهدف من خلق الكون يقول تعالى:((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿١١﴾)) (النَّحل١٠-١١) أَي: انّ هو منْ أَنزل من السماء المطر الذي تشربون ماءَه، وتخلطونه بالكثير من الاشياء لاكلها وشربها، وهو سبب في نمو الاشجار والنباتات والاعشاب التي ترعاها مواشيكم، كما انه سببٌ لنمو الاشجار المثمرة كالزيتون والنخل والكروم، وغيرها من الثمار، حقاً ان هذه كلها ادلة وبراهين لمن يتفكرون.

ثانياً – الهدف اذن من خلق الكون بشكله الحالي هو خدمة الانسان وتوفير مستلزمات حياته، كما قال تعالى:((... أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...))(لقمان٢٠) من منظور العقيدة الاسلامية يعتبر الانسان قائد هذا الكون من بعد الله، وكل المخلوقات الاخرى مسخرة لخدمته، ليتمكن من اداء واجب العبودية لله تعالى من جهة، ومن جهة اخرى ليستفيد من خيراتها ليعيش بسعادة فيه.

ثالثاً – يمنحنا الاسلام منظوراً صحيحاً للكون، وهو ان هذا الكون له اله خلقه ونظمه حسب نظم وقوانين خاصة يسير بموجبها، وهذا يعني ان الكون موضوع ومحلٌّ للتفكر والتّامل العلمي لكشف اسراره وقوانينه، ليخدمنا اكثر.

ومن هذا المنطلق ومن منظور العقيدة الاسلامية لا يعتبر الكون عدواً لنا، لنسعى للنيل والانتقام منه، لان مثل هذا المنظور يصبح سبباً لنخرب البيئة والطبيعة، لتتحول من مصدر للخير – من بعض الاوجه – الى مصدر للتهديد والخوف للحياة والانسانية، مثلما يحدث الآن بسبب الافراط في تلويث البيئة من قبل الدول الغربية وبعض الدول الصناعية الاخرى، اصبحت طبقة الاوزون مهددة، وازدادت الكوارث الطبيعية بشكل ملحوظ، بحيث ان البشرية اذا لم تضع حدّاً لهذا التعامل السيء مع الطبيعة، فعليها توقع المزيد من الكوارث.

الطبيعة والكون من منظور عالمية التوحيد والعقيدة الاسلامية، تمثلان معرضاً الهياً زاخراً، يجب على الانسان ان يشعر بقربه وحبه له، وبالاضافة الى سعيه للاستفادة من خيراته، عليه ان يحاول عدم تشويه جماله لتستمر عليه اسباب الحياة، وان لا يتحول التطور العلمي من عامل لرفاه الحياة الى سبب للخراب والمخاوف.

رابعاً – من منظور الاسلام فان الكون له هدف، ولم يخلق اعتباطاً بلا هدف، كما جاء في قوله تعالى:((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)) (ص ٢٧) أي: نحن لم نخلق السماوات والارض اعتباطاً بلا هدف، وان تفكيراً كهذا هو من شكوك الكافرين.

اذن العقل المؤمن يعي ان هذا الكون لم يخلق اعتباطاً بلا هدف؛ لانّ عملاً يتمتع مبدعه–الله سبحانه وتعالى– بهذا القدر من الحكمة والمعرفة، لا يليق به هذا الوصف، ففي الكون لكل شيءٍ هدفٌ من خلقه، وعليه واجب يؤديه.

انّ الله تعالى يوضح لنا في القرآن الكريم على لسان مجموعة من المؤمنين الذين وعوا الحقيقة اعلاه، على شكل لوحةٍ ملآى بالرقة والشعور المرهف والحركة، بقوله:((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ وَاخْـتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لآيَـاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَـابِ﴿١٩٠﴾)) (آل عمـران ١٩٠) أَي: انّ في خلـق السماوات والارض ادلة كثيرة لذوي العقول والالباب –الذين يعملون عقولهم لايجاد الحقائق.

يقول هؤلاء المؤمنون الذين وعوا ان الكون خلق لهدف، وكذلك الانسان الذي يجب ان يحيا بهذه الروح، ولايجاد وادراك هذا الهدف يجب الاستماع الى رسالة الله ووحيه: يا خالقنا لقد سمعنا داعياً الى الله يدعو الى الايمان، ويطلب ان نؤمن بربنا فآمنّا، يا ربنا فاعفو عن ذنوبنا واغفر لنا وامتنا مع الصالحين وتوفنا اليك. يا ربنا حقق لنا الوعود التي وعدتنا على السنة رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة، فانك لا تخلف الوعد وتنجزه.

تقبل الله دعواتهم وطمأنهم بانه لا يضيع عمل اي شخص سواء كان رجلاً او امرأة، فانتم الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات متساوون في الاجر والثواب لانكم من بعضكم بعضاً.

كما يقول جلَّ شأْنه:((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ))(الأنبياء ١٦).

أَي: نحن لم نخلق السماء والارض عبثاً بلا هدف.

فاذا رجح الانسان عقله حسب منهج صحيح، وتفكر في الطبيعة والسماوات والارض وادلة وبراهين الله عزَّ وجلَّ؛ فانه يتوصل الى حقيقة ان للكون هدفاً، وسيدرك حكمة وعظمة الخالق ومعالم ابداعه في هذا الكون.



أسئلة:

١ – هل هناك هدف من خلق الكون؟ اذا كان هناك هدف فما هو؟

٢ – ما القصد من قول الخالق بانه لم يخلق الكون اعتباطاً؟

٣ – ما العلاقة بين وجود هدف للكون وحياة الانسان على هذه الارض؟

٤ – ما العلاقة بين الانسان والكون من منظور الاسلام؟

مناقشة:

سخَّرَ الله الكون للانسان وجعله خاضعاً له.

ما تأْثير هذا الامر على تفكير وحياة الانسان والمجتمع؟

واجب:

في الكون ادلة كثيرة تظهر ان الله هو خالق الكون، وانه لم يخلقه اعتباطاً. عدد بعض هذه الادلة.



الدَّرس الرابع

الايمان وحقيقة التَّوكل على الله تعالى

نستطيع ان نعرِّفَ التَّوكل على الله بهذا الشَّكل: بان يثق العبد بالله ويفوض اموره اليه ويؤمن بتقديره وعونه له، وانه وحده الذي يلتفت الى عباده، وهذا يبين لنا انَّ التوكل على الله نابع من قلب مؤمن، ومصدره ثقة الانسان بربه ورب العالمين؛ لأنّ التوكل على الله من الثِّمار الحلوة للايمان بالله ومعرفة صفاته.

المؤمنون يتوكلون على ربِّهم

أَي ان التوكل على الله يعتبر من علامات الايمان، كما يقول تعالى:((... وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَـوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) (المائدة١١) أَي: ليتوكل المؤمنون على الله فقط.

التوكل على الله وسعي الانسان

هذا الامر من اهم المواضيع المتعلقة بمسأَلة التوكل على الله، وقد تحدث العلماء كثيراً عن هذا الامر، وصلب الموضوع هو هل ان التوكل على الله وتفويض الامور اليه وثقة القلب بعونه ورحمته، يتعارض والسعي والتخطيط والاستفادة من الوسائل الطبيعية والمادية؟

من خلال تاملنا للقرآن وسيرة الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين والصالحين نفهم بكل سهولة انّ هذين الامرين لا يتعارضان ابداً؛ بل انهما وجهان لاعمال ونشاطات الانسان المؤمن. يقول جلَّ شأْنه:((وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)) (النّجم٣٩) أَي: لا يحق للانسان الا ان ينتظر ثمار سعيه.

ويقول تعالى حول ادارة الشؤون للرسول (ﷺ):((...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ...)) (آل عمران١٥٩) أي: استشر اصحابك وناقش الامور معهم، وبعد الاستماع الى آرائهم وتحديد الواجبات والتوصل الى قرار معين، توكَّل على الله.

نرى هنا بانَّ التَّوكُّل على الله يكون بعد كل ما يلزم لاتخاذ قرار سليم، كما انّ الرسول (ﷺ) عندما سأَله رجل: هل يترك مطيته تسرح ويتوكل على الله، صحح مفهوم التوكل على الله له وللمؤمنين جميعاً، بقوله:((اعقلها ثُمَّ توكَّل على الله)) اي اربطها ثم توكل على الله، اذن علاوة على ان شعور التوكل على الله ينبع من القلب فمصدره السعي والتخطيط، لانّ الله تعالى يسير الكون حسب مجموعة من القوانين –السنن الكونية– ولا يغيرها لاحد، فمثلاً: منح النار القدرة على الاحتراق وقدرتها هذه واحدة للمؤمن وغير المؤمن، فانها كما تحرق ملحداً تحرق المؤمن ايضاً. الا في حالة تكون ارادة الله مانعة لذلك كما حدث لنبي الله ابراهيم.

آثار وثمار التوكل على الله

لا شكّ ان للتوكل على الله آثاراً كثيرة تنعكس على حياة الانسان المؤمن، وسنشير الى بعض هذه الآثار والثمار فيما يلي:

١ – التوكل على الله والثبات امام المشكلات:

من وجهة انَّ المتوكلين على الله يفوضون نتائج سعيهم الى الله، الله الذي هو في كل مكان وله القدرة على كلِّ شيءٍ، وثمرة هذا الايمان وهذه القناعة هي الثقة بالنفس والاعتماد عليها والثبات امام مشكلات الحياة، فعندما يشعر الانسان انه ليس وحيداً امام المشكلات والمصائب وانّ الله تعالى معه، وبامكانه اللجوء اليه والاعتماد عليه، ويطلب منه ان يمنحه الثبات والعون، فانه لا يراوده الشعور باليأْس، وبدلاً من ان يستسلم للتشاؤم والشعور بالضعف، يستمر في مسيرة الحياة بالتوكل على الله، ويقاوم المشكلات والمصائب، ويوقن انّ مع العسر يسراً.((... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ...)) (الطلاق٣).

ويقول تعالى:((وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)) (ابراهيم١٢) أي: ما الذي يجعلنا لا نتوكل على الله في حين انه دلّنا على السبل، وسنصبر على أذاكم لنا، فليتوكل على الله الذين يبغون التوكُّلَ.

وازاء كلّ الازمات فان نشيد المؤمنين الاكرمين على مرّ التأريخ الى يوم الدين هو:((...حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ...)) (آل عمران١٧٣) أَي: كفانا بالله سنداً فهو خير سند ومعين.

٢ – الشعور بقوة وارادة اتخاذ القرار: عندما يقرر الانسان التوكل على الله فانه يتخلص من القلق والتردد، وينمو لديه الشعور بالأمل في عون الله، لان من اهم الأسباب التي تمنع الانسان من اتخاذ القرار في الوقت المناسب الشعور بعدم وجود معين واحتمال الفشل والشعور بعدم القدرة، اما في حال التوكل على الله، فان الانسان يشعر بان الله يعينه ويسانده، ومن هذا المنطلق يخطو بشجاعة وجرأة ويتخذ القرار في الوقت المناسب، وكما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) لابن عباس:((استَعن بالله ولا تعجز)).

فكيف لا يشعر بالقوة مَنْ يستعين بقوة لا حدود لها في هذا الكون، ويخضع له كلُّ شيءٍ فيه؟

٣ – نيل حبِّ الله:

منْ آثار التوكل على الله، ان الله يحبُّ المؤمن الذي يتوكل عليه ويثق به:((... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (آل عمران ١٥٩) أي: ان الله يحب الذين يتوكلون عليه، ومما لا شكّ فيه ان نيل حب الله للمؤمن ثروة ثمينة.

٤ – ترك المعاصي وزوال سلطة الشيطان على الانسان المتوكل على الله:

ان ايمان الانسان ومدى توكله على الله، مقياسان لخلاص الانسان من سيطرة الشيطان، فيخلص بالنتيجة من ارتكاب الذنوب والمعاصي، كما قالَ جلَّ شأْنه:((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) (النحل٩٩) أي: مؤكد انه ليس للشيطان سلطة وارادة على المؤمنين المتوكلين.

فالشيطان يسيطر على الانسان في الوقت الذي تضعف فيه علاقته بخالقه ويتبع شهواته واهوائه؛ لكن اذا توطدت علاقته بخالقه وتوكل عليه، فانه يتخلص من مكائد الشيطان وشروره.

٥ – اطمئنان القلب:

مِنْ آثار التوكل على الله اطمئنان القلب، لانه –اي التوكل– يروي بذرة الامل في قلب الانسان، ويمهد السبيل للخلاص من الضغط النفسي والقلق؛ لانّ السبب الرئيسي لقلق الانسان والضغوط النفسية التي يتعرض لها، هو تفسيره الخاطيء لاحداث ووقائع الحياة، والشعور بالعجز والوحدة، ومن جهة اخرى عندما يتوكّل الانسان على الله يؤمن بعدالته وعظمته وقدرته، وهذا ما يمنح قلبه الاطمئنان.

عندما يتوكل الانسان على الله لا يشعر بالوحدة؛ بل يشعر في كل لحظة من لحظات حياته برعاية الله له، وبهذا تكون علاقته بربه وثيقة، ومن هنا تقل وطأة القلق والضغوط النفسية على الانسان المؤمن قياساً بالآخرين، وتكون نظرته للحياة ملآى بالتفاؤل، واذا كان مصدر القلق والازعاج الناس المسيئين؛ فان الايمان بالله والتوكل عليه، يمنحان المؤمن الصبر ويفوض امره الى الله، كما يخاطب جل شأنه الرسول(صلى الله عليه وسلم) :((... فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً)) (النساء٨١) أي: تجاوز عن المنافقين ولا تخف من دسائسهم، فالله هو الكافي.

أسئلة :

١ – ما الفرق بين (التوكل) و(التواكل) ؟

٢ – ما الفرق بين التوكل على الله والثقة بالنفس وما علاقتهما ببعض؟

٣ – لماذا يجب ان نتوكل على الله في حياتنا؟

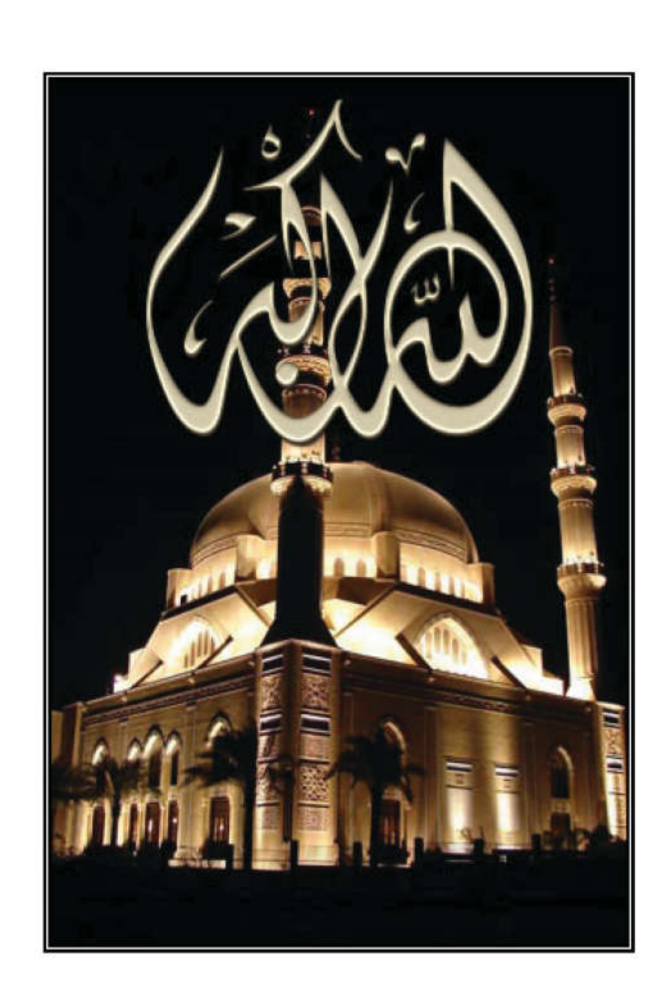
٤ – هل يتوكل الانسان على الله في الشدائد فقط؟

مناقشة :

ما العلاقة بين التوكل على الله وعلو الهمة؟

واجب :

اكتب قصة وردت في القرآن الكريم عن التوكل على الله.



الدرس الخامس

التَّوكل على الله والاعتماد على النفس

كما اسلفنا فانّ القرآن الكريم والتعاليم الاسلامية تحثنا على التوكل على الله؛ في حين انَّ علماء النفس يرشدون الانسان الى الاعتماد على نفسه، ويعتبرون هذا الامر احدى الصفات الايجابية فيه، بحيث يمكنه من خلال الثقة بالنفس والاعتماد عليها التغلب على مصاعب الحياة، ليصل الى قمة السعادة.

باعتقاد علماء النفس فانّ الاعتماد على النفس اساس كل خلاص وتطور، وبه تقوى ارادة الانسان، وبالاعتماد على غيره تضعف ارادته، فالمساعدة التي ينالها من الاخرين غالبا ما تكون سبباً في وهن وضعف الانسان، مما يجعله غير قادر على السعي والمحاولة.

لو تأملنا هذا الامر من ظاهره، بدا لنا ان الاعتماد على النفس والتوكل على الله أمران متعارضان، فان الانسان اذا ما توكّل على الله؛ فلن يكون بامكانه الاعتماد على نفسه، وعليه تفويض اموره اليه وان ينتظر العون منه، واذا اعتمد على نفسه فيجب ان يسعى لانجاز اموره بالاعتماد على قدراته وطاقاته الذاتية؛ لكننا لو امتلكنا فهماً صحيحاً للتوكل على الله وميزناه من الكسل والتخاذل؛ فكما اسلفنا بعد تهيئة العوامل والاسباب المادية وتامين شروط النجاح والاعتماد على قدرات الانسان وطاقاته، سينجلي الفهم الخاطيء في هذا المجال؛ لأنّ الانسان المؤمن يؤمنُ انّ كل قدرة او طاقة منحت له مصدرها الله تعالى، وقد مُنحت له ليعتمد على نفسه ويعيش كريماً دون انتظار مساعدة الآخرين.

وبهذا يكون الاعتماد على النفس غير متعارضٍ مع التّوكل على الله؛ بل ان من اهم ابعاده ونتائجه الاستفادة من القدرات التي منحها الله اياها، لمواجهة الحياة بشجاعة والسعي للنجاح، لا ان نتكاسل وننتظر الآخرين لمدِّ يدِ العون لنا، اذن التوكل على الله يمنح الانسان قوة اكبر وارادة اصلب للاعتماد على النَّفس، وان هناك الهاً يعينه وبامكانه التوكل عليه، وينمي لديه الشعور بالقوة والعظمة، ويجعله يثق بنفسه وقدراته وطاقاته، ويشكر الله في كلِّ الاحوال، على نعمه والمكاسب التي ينالها والنجاح الذي يحققه، وان يصبر على العقبات التي تواجهه وان لا يتخاذل ويحاول تجاوزها.

الايمان والدعاء

الدعاء والتوسل من ثمار الايمان بالله ومعرفة ذات الله، والدعاء سببٌ في علو روح الانسان المؤمن، ويمنحه لذّةً كبيرة واطمئناناً وسعادة، والدعاء عبارة عن طلب الانسان العون من الله تعالى لقضاء حاجاته المادية والمعنوية.

منزلة الدعاء والتّوسل

للدعاء والتّوسل اربع مراتب، هي:

أولاً – المطلوب منه: الله هو الذي يُطلب منه في الدعاء، الله الذي له مُلك السماوات والارض:((أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)) (البقرة ١٠٧) ، كما انّ كرمه وعطاؤه لعبيده لا ينقص من خزائنه شيئاً:((إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ)) (ص٥٤) أي: انّ الرِّزق لنا ولا نفاد له.

من المهم ان نعرف بانّ الله تعالى هو الذي امرنا بان ندعوه ونتوسل اليه، كما قال جلَّ شأنه:((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)) (غافر٦٠) أي: اطلبوا مني واستغيثوا بي فاستجب لدعواتكم، وليعلم الذين يكابرون ولا يدعونني ويعتبرون انفسهم في غنى عني، أنّهم سيدخلون النار.

كما ينبهنا الله تعالى انّه قريبٌ منّا جداً، بقوله:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...)) (البقرة١٨٦) أي: اذا دعاني عبادي وتوسلوا اليّ فعليهم ان يعلموا أني قريبُ منهم. وكما جاء في قوله جلّ شأنهُ:((... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)) (ق١٦) أي: ان الله قريبٌ من عباده كالوريد من راس الانسان.

انَّ الشعور بهذا القرب من الله تعالى، يمنح المؤمن المتوسل ثقة واملاً كبيرين، وبانه ليس وحيداً في هذا الكون وهناك ربٌّ رحيم يرعاه ويستجيب لدعواته.

ثانياً – المُتَوَسِّلْ: وهو المؤمن الذي يدعو ربَّهُ لقضاءِ حاجاته ويطلب منه الرَّحمة واللطف، ويروي عطش قلبه ونفسه ويطمئنها بحب الله بالدعاءِ والتّوسلِ اليه، يقول تعالى في القرآن الكريم:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)) (فاطر١٥) أي: فلتعلموا ايها الناس بانكم في حاجة الى الله وهو غني حميد.

مهما امتلك الانسان في الحياة، فانه يبقى فقيراً الى رحمة الله وعطفه وبحاجة الى رعايته.

يكون الانسان قريباً من رحمة الله بالدرجة التي يعي فيها هذا الامر، فكل انسان يلجأُ الى الله حين العسرة ويطلب منه العون، وقد جعل بعض العلماء هذا الامر احد الادلة على وجود الله، كما

انه يثبت ان الانسان بفطرته يتوجه بالدعاء الى الله، ففي بعض الاحيان ورغم غفلته يعبر لسانه عن ذلك، ومن جهة اخرى يظهر ان اللجوء الى الله وقدرته غريزة في الانسان.

المهم ان الانسان المؤمن يجب ان لا ينسى الله في العسر واليسر، وان تكون علاقته بربه قوية ويدعوه ويظهر له عبوديته.

ثالثاً – الدعاء: عبارة عن الكلمات والعبارات والاشكال التي يرفع بها الانسان حاجاته المادية والمعنوية الى الله تعالى، وواضح ان الانسان اذا اكثر منَ الطلب والدعاء، فانه ينال رحمة الله وعطفه، لانّ ذلك دليل على ايمانه وثقته بالله ومصدر لاطمئنان قلبه.

رابعاً – لمَ الدعاء: يكون الدعاء لكل الحاجات والمستلزمات التي يحتاجها الانسان ويطلبها من الله تعالى، ويتوسل منه للاستجابة لدعواته.

بامكان الانسان ان يطلب كلّ شيءٍ من الله –لكن بشروط سنأْتي على ذكرها لاحقاً– مهما كان كبيراً او كثيراً، لانه لا يمثل شيئاً قياساً بملك الله وقدرته.

مكانة واهمية الدعاء في الاسلام

اولى الاسلام اهمية كبيرة بالدعاء والتوسل، لكونه رسالة سماوية ودينا ًالهياً، يدعو الانسانية الى عبادة الله والتوحيد، لانّ الدعاء صلاة القلوب الحائرة والمحتاجة، كما يقول الرسول (ﷺ):((الدعاء مخ العبادة)) لان الانسان يصل الى اعماق التعبد وحب الله الرحيم الكريم عن طريق الدعاء.

المخ كما ورد في الحديث يعني المادة الموجودة داخل العظام، لذا يجب ان نتعرف على اسس وعظام العبادة لنعرف ما يؤديه المخ من دور؟ يجيب العلامة سعيد النورسي عن هذا السؤال بقوله:((هذا الحديث من الاحاديث الاصولية ويعلمنا ان جوهر الاسلام يتالف من ثلاثة اقسام ومراتب، هي الاسلام بمعنى التسليم، وهذا التسليم لله تعالى يكون بـ(الشهادتين والصلاة والصوم واداء الزكاة والحج)، والايمان وهو عبارة عن التمسك بستة مباديء جوهرية هي(الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والقدر خيره وشره)، والاحسان وهو عبارة عن(الفضيلة والرفعة والعلو او اداء كل عمل حسن) لذا يجب ان يهيمن هذا الحديث على الاعمال والمسارات والمستويات)).

فاذا كان الدعاء مخ العبادة فان (الاسلام)و(الايمان)و(الاحسان) يمثلون معاً العظام، فما معنى عبادة الله والتسليم له؟ وماذا تعني هذه العبادة اذا لم يؤمن الانسان بان الله يراقبه في كل اعماله الظاهرة والباطنة؟ الا تعني هذه العبادة المناجاة مع العلي القدير؟ ترى اليس هذا اداءً لعمل حسن عندما يبدأ المسلم كل شيءٍ باسم الله.

الحاجات التي يدعو الانسان الله لها

يمكننا القول انه اضافة الى ثمار ومكانة الكلمات الجميلة الموجودة في الادعية والايمان، فان دعوات الانسان تتلخص بصورة عامة في الامور الثلاثة الآتية:

أولاً – طلب العفو من الله تعالى عن الذنوب، فالمذنب يدعو الله تعالى ليغفر له ويفتح بذلك صفحة جديدة، وان يشمله بعطفه ورحمته.

فالانسان بطبيعته معرض لارتكاب الذنوب والغفلة، كما قال الرسول (ﷺ):((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)) أي: كل انسان معرض لارتكاب الذنوب والمعاصي؛ لكن افضلهم الذين يسرعون بالتوبة، ويعودون الى جادة الصواب ويظهرون النَّدم ويسعون الى عدم العودة الى المعاصي.

حينما نذنب لسبب ما، يجب ان لا نقنط من رحمة الله ومغفرته؛ بل ندعوه من قلوبنا طالبين العفو، كما يأمرنا سبحانه وتعالى بقوله في القرآن الكريم:((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (الزمر٥٣) أي: يا محمد قل لعبادي الذين اسرفوا في المعاصي، ان لا يقنطوا من رحمتي، ويتوبوا اليَّ ويغيِّروا من سلوكهم في الحياة، لانهم يجب ان يعلموا انهم لو صدقوا في التوبة، وقرروا بصدق العودة الى ربهم، فانني اغفر لهم ذنوبهم جميعها، لان الله عفو غفور.

كما يرشدنا الله تعالى في القرآن الكريم ان نطلب منه العفو عن ذنوبنا بقوله:((... رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ)) (آل عمران١٩٣) أي: اغفر لنا يا ربنا ذنوبنا وتجاوز عن خطايانا، وتوفنا مع الصالحين.

ان حاجة الانسان، التي يعبر عنها بالدعاء والتوسل، هي الامل والرجاء والحاجة الى الارشاد والتوجيه والرعاية.

ثانياً – كون الانسان يعيش في مجتمع، ولديه اهواء ورغبات، وعليه ضغوط من البيئة والمجتمع، فانه بحاجة الى وعي وانتباه، ويجب ان يدعو الله تعالى ان لا يغفل عنه ولو لبرهة، وان لا يحرمه من عطفه ورعايته، يرشدنا الرسول (ﷺ) بقوله:((اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين)) أي: لا تحرمني ياربي من رحمتك ورعايتك طرفة عين.

اننا ندعو الله في الليل والنهار عشرات المرات في صلواتنا:((اهـدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)) (الفاتحة٦) أي: ارشدنا يا ربنا الى صراطك المستقيم، واجعلنا في كل الاحوال نتخذ القرارات الصائبة، وان لا يكون سلوكنا منافياً لهويتنا كمؤمنين، او نرتكب ما لا يرضيك.

يقول جلَّ شأْنه:((... رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا))(الكهف ١٠) أي: يا ربنا اغدق علينا برحمتك، وارشدنا الى الصواب في امورنا، بحيث نخطو نحو ما هو في صالح دنيانا وآخرتنا. ويقول جلَّ شأْنه:((رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)) (آل عمران ٨) أي: يا ربنا لا تضلَّنّ قلوبنا بعد ان هديتها الى الايمان، وارحمنا، لان رحمتك لا حدود لها.

بصورة عامة فان طلب العفو واللطف، والثروة والجاه والنجاح والعطاء والمحبة والصحة والعلم، وكل امنية للانسان مادية كانت او معنوية، اضافة الى ما ذكرنا في النقطتين السابقتين، يمكن للانسان ان يطلبها عن طريق الدعاء، وهناك امثلة كثيرة في القرآن الكريم تعلمنا هذه الادعية، كما في قوله تعالى:((... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (البقرة٢٠١) أي: ربنا اغدق علينا بالحسنة في الدنيا والآخرة، واجرنا من عذاب جهنم. وقوله جلَّ شأْنه:((... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا)) (طه ١١٤) أي: زدني ياربي من العلوم.

شروط الدعاء والتوسل

ليكون الدعاء مستجاباً من الباري تعالى، يجب ان يبدأ باسم الله والثناء والصلاة على نبيه (ﷺ)، وعلى الداعي ان يراعي الامور الآتية:

١ – يجب ان يكون الدعاء نابعاً من القلب وليس باللسان فقط، فبعد ان نرفع ايدينا ونتلفظ الدعاء بالسنتنا نتوجه بقلوبنا الى الله تعالى.

٢ – الايمان بان الله سيستجيب للدعاء، كما قال رسول الله (ﷺ) في حديثٍ قدسي:((انا عند ظنِّ عبدي بي)) (رواه البخاري). أي: ان كان عبدي يوقن انني استجيب لدعائه فله ذلك. كما قال الرسول(ﷺ):((ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة)) (متفق عليه) أي: كونوا على يقين باستجابة الله لدعائكم.

٣ – يجب ان لا يكون الشيء المطلوب شيئاً مخالفاً لقوانين الكون؛ لأَنّ الدعاء معين لتحقيق الآمال، وليس بديلاً عن السعي والاجتهاد.

٤ – السعي للانسجام مع فحوى الدعاء والتوسل، بطهارة القلب واجتناب اكل الحرام والخلق السيءِ وهضم حقوق الناس.

٥ – يجب ان ينعكس ما تطلبه في شخصيتك، فمثلاً عندما تطلب العفو من الله تعالى، يجب ان تكون انت ايضاً عفواً ومتسامحاً مع المخطئين بحقك، فكيف تطلب من الله شيئاً تفتقده في شخصك.

٦ – اجتناب الدعاء السيءِ على المسلمين، كطلب زوال النعم التي انعمها الله عليهم.

٧ – تجنب الذنوب كمقاطعة المسلمين، او الاساءة الى الوالدين، او حمل الضغائن والاحقاد، لانّ هناك نصوصاً تؤكد عدم قبول الدعاء في هذه الحالات.

٨ – يجب ان يكون الدعاء على اساس الخوف من الله تعالى والامل في كرمه، وقد بيّن لنا تعالى هذا الامر في القرآن الكريم بقوله:((... وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)) (الاعراف ٥٦) أي: ادعو الله وتوسلوا اليه خوفاً منه وطمعاً في رحمته، فرحمته قريبة جداً من الصالحين الذين يدعونه. كما يقول جلَّ شأْنه:((... يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...)) (السجدة ١٦).

الاوقات والحالات التي يقبل فيها الدعاء

كما اسلفنا لا يوجد وقت معين للتوجه بالدعاء الى الله، ولكن حسب ما ورد في بعض الاحاديث وتفسير العلماء، هناك اوقات وحالات يكون فيها الدعاء مستجاباً، منها:

١ – الدعاء بعد الصلوات المفروضة.

٢ – الدعاء اثناء الليل والفجر.

٣ – الدعاء في يوم الجمعة.

٤ – دعاء الانسان المظلوم.

٥ – دعاء الوالدين للاولاد.

٦ – دعاء المؤمن لاخوانه واخواته من المؤمنين، من دون علمهم، وهو دليل الاخلاص والحب لهم.

٧ – الدعاء قرب الكعبة.

٨ – الدعاء اثناء المصائب، خاصة عندما يفقد الانسان كل وسيلة، ولا يبقى امامه الا الله ليغيثه.

أسئلة :

١ – لماذا يجب ان ندعو الله ونتوسل اليه ؟

٢ – ما أثر الدعاء على حياة المؤمن ؟

٣ – ما علاقة استجابة الله تعالى للدعاء، بسلوك الانسان في حياته اليومية ؟

مناقشة :

ما سبب اهتمام علم التنمية البشرية وعلم النفس بالدعاء والتوسل، كعوامل لعلاج الامراض النفسية وشعور الانسان بالاطمئنان والراحة النفسية؟



القسم الثاني

الاخلاق

الدرس السادس

مكانة الاخلاق والخلق العالي في الاسلام

الاسلام دين الفطرة الطاهرة الصحيحة، والعقول الناضجة، والنفوس الطيبة، واذا كانت للاخلاق مكانة عالية في الأديان السماوية كلّها، فهي كذلك في الاسلام ايضاً؛ بل واكثر، بحيث يمكننا القول ان الاسلام –بعد الايمان– رسالة أَخلاقية.

فالاسلام منذ ظهوره، ومحاربته الفكر الجاهلي في ذلك العصر، حارب علناً جميع الاخلاق والصفات التي كانت نابعة من الفكر الجاهلي، والتي لم تكن منسجمة مع المكانة والدور الذي منحه الله تعالى للانسان في العيش الكريم.

يسعى الاسلام دوماً، لانماء الشعور الاخلاقي لدى الفرد المسلم، ليعيش حياة اخلاقية، لانّ جمال وشخصية الانسان في اخلاقه العالية، وهي التي تجعله محبوباً عند الله وبين افراد المجتمع.

الاخلاق العالية عامل مهمٌّ لتطور المجتمع وامنه الاجتماعي، والاخلاق السيئة عامل للفوضى وتفكك وعدم استقرار المجتمعات.

الاسلام يحثُّ الانسان والناس على التخلق بالاخلاق العالية، ويجعلها مقياساً للقرب من الرسالة و الرسول(ﷺ) او البعد عنهما في اليوم الآخر، يقول الرسول(ﷺ) عن هذا الامر في حديث له:((انَّ أحبّكم اليَّ وأَقربكم مني منزلاً يوماً القيامة احاسنكم اخلاقاً، الموطّؤون اكنافاً، الذين يألفون ويؤلَفون، وابغضكم اليَّ وابعدكم مني منزلاً يوم القيامة الثّرثارون المتشدقون المتفيقهون)) أي: ان ذوي الاخلاق العالية هم المحبوبون لدي وهم اقرب مني منزلا يوم القيامة.

وفي المقابل يشير الرسول(ﷺ) الى ابغض الناس اليه وابعدهم منه منزلاً يوم القيامة، وهم الثرثارون المتكبرون، الذين يظنون انهم بكثرة كلامهم المعسول يرضون الناس، في حين انَّ الاخلاق صفات وافعال، واستخدام اللسان في الشَّر يعتبر من الخلق السيءِ المنحط.

قرآن الاسلام يدعو الى الاخلاق الفاضلة، ويحثُّ المؤمنين والناس جميعاً على التمسك بالفضيلة والاحسان، وتجنب الرذيلة والسوء والصفات السيئة، كما جاء في قوله تعالى:((إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (النَّحل٩٠) أي: يامر الله الناس بالعدل والاحسان وصلة الرحم، ويحرم المعاصي والصفات السيئة والظلم، ويرشدنا الى عدم التغافل واداء الواجبات.

ومن تامل وتفسير بعض احاديث الرسول(ﷺ) نستنتج ان الخلق الحسن افضل عند الله من الانشغال بالتَّعبدِ الذي لا ينعكس على خلق المتعبد، كما في قوله(ﷺ):((ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة واشرف المنازل وانه لضعيف العبادة، وانه يبلغ بسوء خلقه أسفل

درجةٍ فِي جَهنَّم)) (رواه ابو داود).أي: لو كان الانسان قليل التعبد – يؤدي الفرائض فقط – فان بامكانه نيل المكانة العالية عند الله تعالى في يوم القيامة، بالتخلق بالاخلاق الفاضلة، في حين يدخل جهنّم بسبب اخلاقه السيئة، وهذا امر طبيعي في الاسلام؛ لان من الثمار الحلوة للعبادات، والدليل على ادائها بشكل جيد واختلاطها بروح الانسان، عيش المؤمنين في كنف الاخلاق الفاضلة، فمثلاً يقول جلَّ شأنه عن تأثير الصلاة على اخلاق الانسان المؤمن:((... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ...)) (العنكبوت٤٥) أي: ان الصلاة تردع من يؤديها عن كل خلق سيء.

ومن منطلق ان الخلق الفاضل ينعكس في التعامل مع الناس، فانَّ رأي الناس حول شخصٍ ما، هو تقويم لاخلاقه، وقد ورد في بعض احاديث الرسول (ﷺ) ان راي الناس بشكل عام وحكمهم على شخص ما، من حيث الاخلاق، يحدد مكانة ذلك الشخص عند الله، فقد روي عنه (ﷺ): ((انّ النبي (ﷺ) كان ذات يوم جالساً مع اصحابه، فمرَّت جنازة أَثنى الحاضرون على صاحبها خيراً، فقال النبي(ﷺ): وجبت. وسكت، ثُمَّ مرّت جنازة اخرى، فقال الحاضرون عن صاحبها شرّاً، فقال النبي(ﷺ): وجبت. فسألَهُ اصحابه عن معنى قوله (وجبت) في الحالتين المختلفتين، فقال: أمّا الاولُ فأَثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنّة، وأمّا الثاني فقلتم عنه شرّاً فوجبت له النّار)) (رواه الترمذي).

وهذا يعني ان رضا الناس عن شخصٍ ما دليل على خلقه الحسن، وهذا الامر –اضافة الى الايمان– طبعاً، يكون سبباً في نيل رضا الله تعالى، وبالعكس.

ويرشد المؤمنين الى انّ البرَّ لا علاقة له ببعض الطبائع؛ بل هو عنوان لكل عمل حسن نابع من شعور اخلاقي طاهر وقلب مفعم بنور الايمان وحب الله والناس. كما قال جلَّ شأنه:((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) (البقرة ١٧٧) أي: ليس البر بان يتوجه الانسان الى المشرق او المغرب؛ لكنه يتمثل بايمان الانسان بالله واليوم الاخر والكتب السماوية والرسل، وانفاقه من المال الذي يحبه على الاقرباء والايتام والمحتاجين وابناء السبيل –البعيدون عن ديارهم حتى لو كانوا اغنياء – والعبيد الذين يريدون شراء حريتهم، الى جانب اداء الصلاة ودفع زكاة المال والبرّ بالوعد والصبر عند الشدائد والمحن وعدم الفرار يوم الزحف.

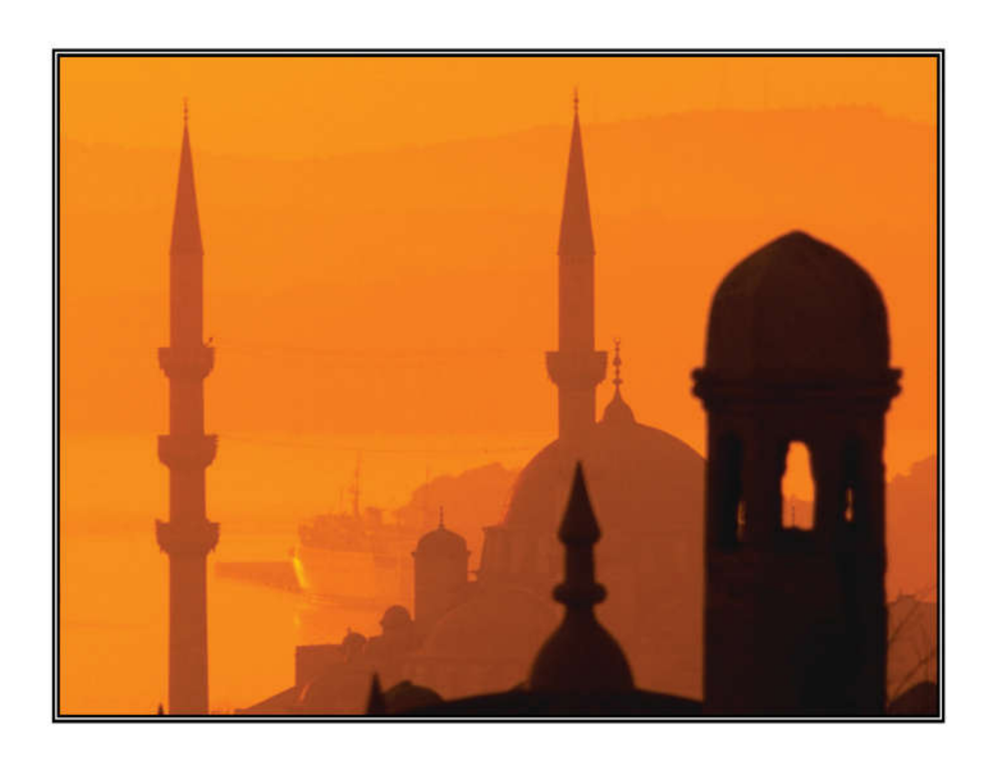
اسئلة :

١ – ما سبب علو مكانة الاخلاق في الاسلام وثقلها في ميزان اعمال الانسان المؤمن في اليوم الآخر؟

٢ – ماذا يعني التخلق بالاخلاق السيئة الى جانب اداء العبادات؟؟

واجب :

اذكر مثالين عن تسامح وعطف النبي (ﷺ).



الدرس السابع

الرسول (ﷺ) قدوة
الاخلاق الفاضلة والاحسان

الرسول (ﷺ) قدوة للالتزام بالاخلاق الفاضلة للمؤمنين؛ بل لكل محبي الخلق العالي، يصفه القرآن الكريم بقوله:((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (الاحزاب٢١) أي: انَّ رسول الله (ﷺ) قدوة حسنة لكم، ومحب للخير للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويرجون الثواب، ويذكرون الله كثيراً.

استناداً الى النص القرآني، وواقع حياة الرسول (ﷺ) فانه قدوة حسنة للمؤمنين والبشرية جمعاء.

السيرة النبوية تبين لنا انه كان في تعامله اليومي، مع اسرته والمجتمع واصحابه وحتى مع اعدائه، يتعامل على اساس الاخلاق الفاضلة، وكان يجسد الاسلام عملياً، في حياته اليومية، بحيث يمكننا القول انه كان قرآناً حياً بين الناس، فعندما سُالت عائشة ام المؤمنين (رضي الله عنها) عن اخلاق الرسول (ﷺ) قالت:((كان خلقه القرآن)) أي: كان يجسد القرآن بخلقه، ان اخلاق الرسول (ﷺ) الفاضلة دليل قوي على صدق نبوته، ويشهد له الله تعالى في القرآن الكريم على ذلك، بقوله:((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))(القلم٤).

في هذه الآية وآياتٍ اخرى يتبين لنا ان صراع الرسول (ﷺ) مع المشركين في عهده، كان صراعاً بين نوعين من الاخلاق، أخلاق الايمان والنبوة، ضدَّ اخلاق الكفر والشرك والجهالة. ويتضح ايضاً ان حرب الرسول (ﷺ) كانت في الغالب حرباً وجهاداً اخلاقيين، ومن هذا المنطلق كان الرسول (ﷺ) يعرف رسالته النبوية بانها جاءت لتُتمم مكارم الاخلاق، كما ورد في حديثٍ له:((انَّما بُعِثتُ لأُتمِّم مَكارِمَ الأخلاقِ)) وهنا تجدر الاشارة الى انَّ (مكارم الاخلاق) ليست مجرد مجموعة اعراف اجتماعية عادية، بل هي اشارة الى كل القيم والمباديء التي تحفظ كرامة الانسان.

وفي اطار ارشاد الله تعالى لاعداد الرسول (ﷺ) لهذا الواجب والقيادة، يوجهه القرآن بقوله تعالى:((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) (الاعراف١٩٩). أي: تجاوز عن اخطاء الناس وعثراتهم (فمثلاً قم بزيارة اقربائك الذين يقاطعونك، واعف عن الذين يظلمونك) ومن حقك ان تاخذ حقوقك الشخصية ممن هضموها، وامر بالمعروف وتجاوز عن الجهلة ولا تجادلهم.

كان التسامح من اهم الاخلاق الفاضلة للرسول(ﷺ)، وهو من الفضائل الاخلاقية التي يمكننا بالاقتداء بهذا القائد العظيم والمرشد الاخلاقي، ان نزين انفسنا بحب الخير ونحيا حياة هانئة وسعيدة، ومن هنا يكون من واجب كل مؤمن دراسة سيرة حياة الرسول (ﷺ) فكلما تعمقنا في دراسة سيرته وتعرفنا على خلقه الفاضل اكثر، سنتأَثر اكثر ويمكننا الاستفادة من حياة هذا القائد ونتخذه مثالاً نقتدي به، لننضج ونترفع اخلاقياً، ويكون هذا انعكاساً للآية الكريمة في وصف الرسول (ﷺ):((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))(الانبياء ١٠٧). أي: لقد بعثت رحمة لكل العالمين. فهو لم يكن واسع الصدر متسامحاً مع اتباعه فقط؛ بل كان يتعامل بنفس الشكل مع اتباع الاديان الاخرى والناس اجمعين، وكان يؤكد دوماً على المساواة، ويسعى ليفهم الناس انهم من نسل ابوين اثنين، وانهم جاؤا من مصدر واحد، لذا يجب ان يتعاملوا مع بعضهم بروح التسامح، لذا نجده في خطبة حجة الوداع يتوجه الى اصحابه بالقول:((ايها الناس من كنت اخذت له مالاً فهذا مالي فليأْخذ منه، ومن كنت ضربت له ظهراً فهذا ظهري فليضربه، ايها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأَعجمي على عربي الاّ بالتقوى)). أي: ايها الناس لو كنت سلبت مالاً من احدكم فليستعده، ولو كنت ضربت احدكم فليضربني، واعلموا انكم من صلب آدم وخلق آدم من التراب، فلا فضل لاحدٍ منكم على غيره عربياً كان او أَعجمياً الا بتقوى الله والعمل الصالح.

سؤال :

لماذا يصف الله تعالى الرسول(ﷺ) بانه على خلق عظيم؟

مناقشة :

الرسول (ﷺ) قدوة لاتباعه من حيث الاخلاق، ماذا نعني بهذا القول؟

الدرس الثامن

بعض خصائص الاخلاق في الاسلام

للاخلاق في الاسلام خصائص مميزة، منها:

١ – علاقة الاخلاق بالايمان:

وقد وعد الله تعالى كلَّ من يلتزم بهذه الاخلاق الفاضلة، ويؤدي العمل الصالح بان يدخله الجنة، كما قال جلَّ شَأْنه:((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (النحل٩٧) أي: من كان صالحاً –ذكراً كان او انثى– سيثابُ بحياة هانئة في الدنيا، وسيجزى خير الجزاء في الآخرة. ويظهر ذلك جلياً في ربط التدين والخلق العالي في القرآن والاحاديث النبوية، فهناك عدة آيات في القرآن تشير الى العلاقة الوثيقة بين الايمان والعمل الصالح والخلق الفاضل، وتوضح بان الايمان يحفظ الانسان من الرذيلة والسوء، فعندما يطالب القرآن المؤمنين بالالتزام بخلق فاضل، يذكرهم بان ذلك ضرورة ملحة لهم كمؤمنين، فاذا كان الايمان شجرة مثمرة فان من احلى ثمارها حب الخير والخلق الفاضل.

عندما نتأمل بداية سورة (المؤمنون) نجد انها تتحدث عن عدد من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة، التي هي ثمرة الايمان، ويعرف بها المؤمنون الحقيقيون:((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ①الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ②وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ③وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ④وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ⑤إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ⑥فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ⑦وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ⑧وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ⑨أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ⑩الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⑪)) (المؤمنون١–١١).

أي: حقاً قد أفلح المؤمنون الذين يتصفون بالصفات الآتية:

أ – الذين يؤدون صلواتهم بكل خشوع.

ب – لا يستمعون الى الثرثرة ولا يبالون بها.

ج – يؤدون زكاة اموالهم التي حددها الله تعالى.

د – يتميزون بالعفاف، ولا يمارسون الجنس الا مع ازواجهم، لان من يزني يتجاوز حدود الله ويعتدي على حرماته.

هـ – أمناء في كل ما يؤتمنون عليه، ويبرون بالوعود التي يقطعونها.

و – يؤدون الصلوات في اوقاتها ولا يضيِّعونها.

ز – كل مؤمن تتوفر فيه هذه الصفات سينال الفردوس وهي اعلى مرتبة في الجنة وسيخلد فيها الى الابد.

ويقول الله تعالى :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ))(الحجرات٦).

أي: يا ايها الذين آمنوا اذا وصلكم خبر من انسان فاسقٍ، فتحروا عنه وتحققوا من صحته، حتى لا تخطئوا وتتخذوا خطوة خاطئة، تضر قوماً لا ذنب لهم، فتندمون على ذلك.

وقد بيّن الرسول الكريم (ﷺ) ان الايمان القوي يثمر الخلق الفاضل، لذا فمن اهم العوامل الفاعلة في ضعف الاخلاق في المجتمع الاسلامي، ضعف الايمان وعدمه، الذي يؤثر على مسار حياة الناس، يقول الرسول (ﷺ):((لا ايمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)) (رواه احمد). أي: من لا يحفظ الامانة فهو غير مؤمن، ومن لم يوف بعهده فدينه ضعيف، اي لا تظهر عليه سمات المتدينين، ويقول (ﷺ) ايضاً:((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت)) (رواه البخاري) أي: اكرام الضيف والاحسان الى الجار وقول الخير من شروط كمال الايمان.

كل ما سبق ذكره جعل الاخلاق الفاضلة مقياساً رئيسياً واساسياً للايمان، اي ان مدى ايمان وصدق الانسان في تدينه، يقاس بالتزامه بالاخلاق الفاضلة وصفاته الجميلة، كما قال رسول الله (ﷺ) في حديث شريف:((أكملُ المُؤمنين ايماناً أحسنهم اخلاقاً)) (رواه الترمذي) أي: حسن الخلق دليل على كمال الايمان.

لانَّ الايمان ليس بالتمني والكلام المنمق؛ بل هو كما قيل: الايمان حقيقة ثابتة ومتجذرة في القلب، ويصدقها اللسان، ويثبتها العمل الصالح الذي يؤديه المؤمن.

اسئلة :

١ – كيف تفسر العلاقة بين ايمان المسلم والاخلاق الفاضلة؟

٢ – ما تأثير الايمان على خلق المسلم؟

الدرس التاسع

عوامل التربية الاخلاقية

التربية الاخلاقية في الاسلام لها عوامل متعددة، تؤثر ايجابياً على تربية الفرد والمجتمع.

لنعرف اذن معنى التربية الاخلاقية، وماهي اهميتها واهم عواملها؟

معنى التربية الاخلاقية

التربية الاخلاقية في الاسلام عبارة عن العمل على الاخلاق الايمانية في نفوس المؤمنين، وخاصة جيل الشباب الواعد، من اجل تصحيح سلوكهم وحمايتهم من الانحراف وابعادهم عن الاخلاق السيئة، وزرع بذرة تقوى الله في قلوبهم ونفوسهم.

ان ترسيخ الاخلاق الحسنة يكون عبر عدة وسائل، مثل القدوة الحسنة، التعليم المباشر، الرعاية المباشرة، والتعبد والنصح والتوجيه، والترغيب والترهيب.

أهمية التربية الاخلاقية

تكمن اهمية التربية الاخلاقية في انها تعرف الافراد بالاخلاق الاسلامية، وتعدُّهم لتطبيق هذه الاخلاق وما تعلموه من الحياة، وان ينعكس ذلك على تصرفاتهم وسلوكهم اليومي.

اذن تعمل التربية الاسلامية على نشر الاخلاق الفاضلة في صفوف المجتمع، وتوعية الناس ازاء الاخلاق السيئة، ليتمكن الافراد من تغيير سلوكياتهم لتنسجم مع تعاليم الخالق، والاخلاق العالية، ويراعي الانسان في تطبيقها المباديء الاخلاقية الفاضلة، كالعدالة والاصلاح والتسامح ومد يد العون والرحمة وسعة الصدر...الخ.

اشكال التربية الاخلاقية

التربية الاخلاقية من وجهة نظر الاسلام، تنفذ عن طريق عدة وسائل، منها:

القدوة الصالحة: التربية عن طريق القدوة الصالحة من اكثر عوامل التربية الاخلاقية فاعلية، لذلك اهتم الاسلام بهذا العامل كثيراً، كما قال جلَّ شأنه:((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (الاحزاب٢١) أي: انّ رسول الله (ﷺ) هو القدوة الحسنة، للذين يرجون ثواب الله ويذكرونه كثيراً.

لذلك يجب على القادة التربويين ان يكونوا انموذجاً حسناً لتلامذتهم، وان تنعكس المباديء التي يدعون اليها على سلوكهم وطريقة حياتهم، ومن واجب كل مؤمن سواء كان اخاً او اختاً او اباً او معلماً او مسؤولاً او صاحب اية مهنة اخرى-علاوة على المجال الاسلامي العام- يجب ان يكون في مجاله كمسلم، رمزاً للطهارة والاخلاص، وان يكون قدوة حسنة، وان يصحح الاخطاء الاخلاقية لمن حوله بالاعمال قبل الاقوال، فاذا كنا تلاميذ لغيرنا-نتعلم منهم- هناك من ينظر الينا ويتعلم منا.

ونحن كشباب مؤمنين واعين واصحاب رسالة، يجب ان لا نسمح بان يتعلم الناس منّا ما لا ينسجم مع المبادىء الفاضلة، يقول الرسول (ﷺ):((**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتـه...**)) ويقول في حديثٍ آخر:((**من سنَّ سُنَّةً حسنةً، فله أجرها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها، من غير ان ينقصَ من اجورهم شيءٌ، ومن سنَّ سُنَّةً سيِّئة كانَ عليه وزرها ومثل وزرِ مَنْ عَمِلَ بها مِنْ غَيْرِ أن يَنقُصَ مِنْ أوزارِهِمْ شيء**)). أي: من ابدع عملاً فيه خير، يثاب عليه وينال مثل ثواب من عمل به –دون ان ينقص من ثوابهم شيء– اما من ابتدع امرا سيئاً فعليه اثمه واثم من عمل به دون ان ينقص من آثامهم شيء.

لذلك على الشاب المؤمن، ومنذ ريعان شبابه، ان يربي نفسه ليكون نموذجاً للسلوك الجيد؛ بل ويعمل على من حوله ايضاً، ويكون رمزاً للصلاح والرحمة والعون والمحبة والتفاني في سبيل الآخرين.

وليكون المرء ناجحاً في هذا الامر، فان اختياره لاصدقائه الدائمين امرٌ مهمٌ، ويجب ان يصاحب ذوي الخلق العالي، ويتعاطى معهم، وان لا يصاحب رفاق السوء كي لا يتأَثّر بهم، يقول النبي الكريم(ﷺ) في هذا الامر:((**المرءُ على دين خليله، فلينظر احدكم من يخالل**)) (رواه الترمذي) أي: انّ المرء يتأثر باصدقائه، فليختر الصالحين من ذوي الاخلاق الفاضلة والارادة الخيِّرة لمصادقتهم، ليعيش في بيئة تؤدي به الى الرفعة والنجاح المادي والمعنوي، ليتمكن من مساعدة الآخرين للتطلع الى بيئة افضل تعمها الاخلاق الفاضلة.

ان دراسة سيرة الرسول (ﷺ) والقادة التأريخيين العظام، لها فائدة كبيرة، لانّ الانسان يتعلم من تجاربهم الكثير، ويحثه ذلك على طلب الرفعة والسلوك الحسن، ومن كل ما ذكرنا نتوصل الى انّ واجب الشاب المؤمن، وكل انسان حكيم ومحب للخير في حياته، ان يقتدي بالذين عرفوا بالاخلاق الفاضلة والنفوس العزيزة، وان يكون هو قدوة حسنة لمن حوله.

أسئلة :

١ – فيم تكمن اهمية التربية الاخلاقية ؟

٢ – كيف نستفيد من القادة ذوي الاخلاق الفاضلة ؟



الفصل الثاني



القسم الثالث

الاسلام وحقوق الانسان

الدّرس العاشر

الاسلام وحقوق الانسان

هناك حديث كثير في يومنا هذا عن مسألة حقوق الانسان في العالم، ويعتبر الاعلان العالمي لحقوق الانسان، احد المكاسب الانسانية في القرن العشرين، سنحاول في هذا القسم ان نتحدث باختصار عن هذه الحقوق من وجهة نظر الفكر الاسلامي، وسنسهب في شرح بعضها.

تعريف حقوق الانسان واقسامها

حقوق الانسان هي الحقوق التي ينالها الانسان لكونه انساناً ويستفيد منها، وتولد هذه الحقوق معه، وتنتهي بوفاته، والهدف منها حمايته وكيانه وشخصيته والقيم المتعلقة به.

لذا وكما اتضح من التعريف، فان حقوق الانسان مبنية على فكرة اساسية هي انسانية الانسان، أي ان الانسان لكونه انساناً –بعيداً عن لونه وشكله وجنسه (ذكرا كان ام انثى) وقوميته وعرقه ودينه ومكانته الاجتماعية– له مجموعة من الحقوق الطبيعية التي وهبها الله له، وهي مرتبطة بانسانيته، وليس لاي مجتمع او دولة او قوة ان تهضم حقوقه هذه؛ لان حقوقه تسبق تشكيل اية دولة او مجتمع، ومن واجب كل سلطة او حكومة ان تحفظ حقوقه عملياً على اساس القانون، وان تخلق جواً ينعم في ظله الانسان بحقوقه ويستفيد منها، وخلافاً لذلك ستعتبر سلطة ظالِمَةً ومُضْطَهِدَة.

الاسلام وكرامة الانسان وحقوقه

كرامة الانسان مصدر لكل حقوقه الاساسية، فالكرامة دليل انسانية الانسان التي تميزه من المخلوقات الاخرى، كانت كرامة الانسان اكبر محفز له في التاريخ للقضاء على الاعراف والتقاليد والقوانين الصارمة وتغييرها باحكام دينية عظيمة وقوانين مرنة.

جاء في (الاعلان العالمي لحقوق الانسان) الصادر سنة ١٩٤٨ :((الاعتراف بكرامة الانسان التي منحها الله له، ومساواة الناس، والحقوق الراسخة لمساواتهم، عبارة عن اساس للحرية والعدالة والسلام في العالم)). وفي (البيان العالمي للحقوق المدنية والسياسية) سنة ١٩٦٦، تم تاكيد نفس الراي، حيث ورد فيه:((كل هذه الحقوق مصدرها كرامة الانسان والمساواة بينهم)).

ثمّ ان احترام هذه الكرامة من الضروري ان تؤخذ بعين الاعتبار حتى عند فرض العقوبات القانونية، اذن كرامة الانسان هي مصدر عظمة حقوقه، وقيم العدالة هي الاخرى مصدر آخر لهذه الحقوق.

اكدت الاديان السماوية دوماً على احترام كرامة الانسان الموهوبة له من الله، فقد اعتبر القرآن الكريم كرامة الانسان من النعم التي انعم الله بها على الانسان، وبسببها فضله على سائر

خلقه في هذا الكون، وجعل الانسان قائدا للكون، كما قال جلَّ شأنه:((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) (الاسراء٧٠).

لقد جعل هذا التكريم الانسان خليفة لله على الارض ليعمرها، وسخر له كل خيرات السماء والارض.

ان الكرامة ونعم الله الاخرى هي لكل انسان، بسبب انسانيته، دون النظر الى اصله وعرقه ولونه او دينه ومكانته الاجتماعية، لانّ الله تعالى منح الكرامة لجنس البشر، لا لفئة منهم، كان يمنحها للمؤمنين او الرجال فقط، ويحرم الآخرين منها.

من وجهة نظر الاسلام فان الانسانية بكل اديانها وقومياتها ولغاتها واعراقها والوانها، لها مصدر واحد، وخلقوا من نفس واحدة، وقد منح الله تعالى هذه النفس الكرامة، لهذا عندما قام النبي محمد(ﷺ) تقديراً لجنازة يهودي، قال له احد الصحابة: يا رسول الله انها جنازة يهودي – وكان لسان حاله يقول انه لا يستحق ان يقوم له رسول الله (ﷺ)– لكنّ رسول الله(ﷺ) واقتباساً من (النفس) التي هي بداية المساواة في الكرامة الممنوحة للانسان من الله، ردَّ عليه بقوله: ألَيسَ نَفساً ؟ وتكملة الحديث واضحة، فلانه انسان خلقه الله، فيجب ان يقدّر دون النظر الى دينه ومذهبه او لونه ولغته، ويجب ان لا يُهانَ.

اما فيما يخص العدالة، فيكفي ان نعلم بان الله تعالى لخص هدف بعث رسله جميعاً، من اجل ارساء دعائم العدالة، حيث يقول جلَّ شأْنه في القرآن الكريم:((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...)) (الحديد٢٥) أي: لقد بعثنا الرسل، ومعهم الكتب والموازين ليطبق الناس العدلَ.

تضم العدالة المساواة، اي ان المساواة جزءٌ من العدالة، كما ان الحرية جزءٌ آخر منها، والمساواة هنا تعني انّ كل البشر من نسل آدم، وخلق آدم من تراب، وبهذا فانهم جميعاً متساوون امام القانون، ويستحقون ان ينالوا الحقوق المحددة للانسان، ومساواة الناس في الكرامة والانسانية منزلة كبيرة في مجال حقوق الانسان.

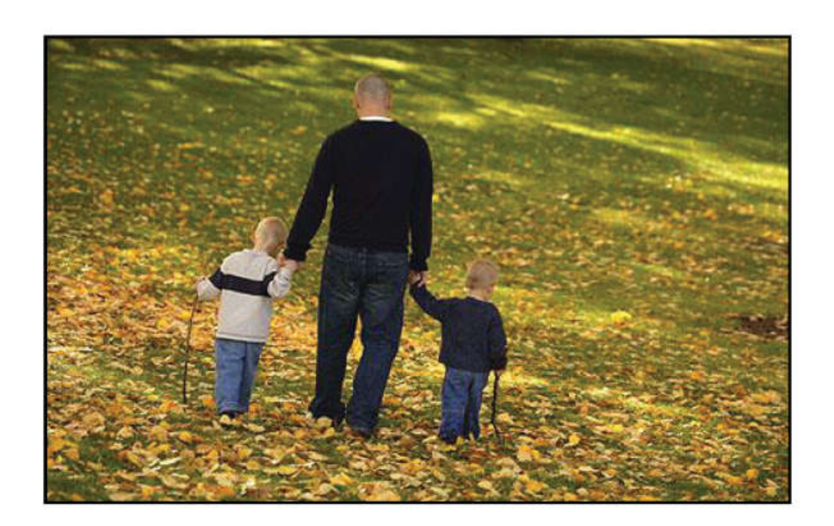
جاء في حديث قودسي ان الله تعالى يقول:((يا عبادي: اني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا)) أي: يا عبادي اني لا اظلم احداً، وحرمت عليكم الظلم فلا تظلموا بعضكم بعضاً.

لو طبقت لوائح حقوق الانسان في عصرنا هذا، بشكل جيد، فانها تمنع الكثير من الظلم الذي يقع على الناس، وتمنع ظهور وتاسيس انظمة دكتاتورية ظالمة.

أسئلة :

١ – كيف ينظر الاسلام الى كرامة الانسان ؟

٢ – هل هناك اختلاف بين كرامة انسان وآخر في الاسلام؟



الدّرس الحادي عشر

ضمانات الاسلام لحق الامان للفرد

لا يضمن الاسلام حق الامان للافراد كمبدأ عام اعتباطا؛ بل وضع مجموعة من الاحكام لضمان حقوقهم وخاصة في مجال القانون والمحاكم، ومن اهم هذه الضمانات، ما يأتي:

١ – مبدأ شخصية المسؤولية الجنائية: وهو ان كل فردٍ مسؤول عن تصرفاته، ولا يحاسب أو يعاقب على جريمة غيره، يقول الله تعالى:((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ...)) (فاطر١٨) أي: لا يتحمل احد وزر جريمة غيره.

يقول الرسول (ﷺ) في حديث شريف:((لا يؤخَذُ الرَّجُلُ بِجَرِيْرَةِ أبيهِ وَلا بِجَرِيْرَةِ أَخيْهِ)) أي: لا يحاسب المرء بسبب جريمة ارتكبها ابوه او اخوه ولا يتحمل مسؤوليتها.

ومن هذا المنطلق فان الثأر والعداوة بين القبائل، واجراءات السلطات الجائرة التي تؤذي الاقارب بسبب موقف اتخذه انسان او جريمة ارتكبها احد افراد اسرة معينة، او تعاقب عائلة او قبيلة وتحرمها من الامن وتعرض شرفها واموالها للخطر، هي عادات غير اسلامية وغير عادلة.

٢ – حق شرعية او قانونية العقاب والجرم: أي ليس هناك عقوبة لجريمة، اذا لم ينبه الناس الى منعها، او لم يعلن عنها. ويسمى هذا المبدأ في القانون الوضعي المعاصر بـ(لا وجود لجريمة او عقوبة بدون قانون)، وهناك الكثير من الآيات والاحاديث التي تؤكد على هذا المبدأ، يقول الله تعالى:((... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) (الاسراء ١٥) أي: لم نعذب امة او طائفة حتى نبعث اليهم رسولاً يوضح لهم الحرام والحلال.

وبحسب ما ذكرنا فانّ الاسلام يؤيد دولة القانون، ولا يجوز ان يحاسب احد الا بقانون مشرع عادل وعلى المباديء الشرعية، ويجب ان تكون حقوق وواجبات الحاكم والمواطنين واضحة وشفافة.

٣ – مبدأ عدم رجعية القوانين: لانّ الناس يتمتعون بحقوقهم وحرياتهم في الوقت الذي يكون ما يقومون به مسموحاً وليس ممنوعاً قانوناً، واذا لم يكن هذا المبدأ قائماً فانَّ الناس كانوا سيخافون من العقاب في القيامة على افعالهم، فلعلها ستحرم في الآخرة ويعاقبون عليها، وبهذا لم يكونوا سيشعرون بالاطمئنان.

عندما حرِّم الزنا والسرقة وشرب الخمر والبهتان في القرآن، فان تلك النصوص نزلت بسبب تلك التصرفات، ولم تطبق على ما سبق نزولها؛ بل طبقت بعد نزولها.

٤ – مبدأ ان كل شخص بريءٌ اساساً :

من وجهة نظر الاسلام فانّ كل انسانٍ بريءٌ، حتى تثبت ادانته قانونياً عن طريق المحاكم، يقول الرسول (ﷺ):((كل مولود يولد على الفطرة)) أي: اي يولد كل انسان بريئاً، ولا تولد معه الجريمة.

من فوائد هذا المبدأ انه اذا ادعى شخصٌ ما انّ له حقّاً عند غيره، فعليه احضار الادلة والشهود، لدعم دعواه، اما المدعى عليه فليس مُلْزَماً بذلك، على اعتبار انه لا يستحوذ على حق احد.

ومن فوائده الاخرى اذا كان هناك شكٌّ لدى المحكمة حول الدعوى، فانها تحكم لصالح المتهم المدعى عليه.

أسئلة :

١ – لماذا نحتاج الى مجموعة من الضمانات للتمتع بحق الامان ؟

٢ – ماذا يعني وجود الضمانات للتمتع بحق الامان في الاسلام ؟

الدّرس الثاني عشر

٣ – حق المساواة:

مبدأ المساواة، مبدأ اساسيٌّ للاديان السماوية وفكرة حقوق الانسان، فقد دعت الاديان السماوية الى ان العباد متساوون امام الله، لقد اقرَّ الاسلام المساواة في الكرامة والحقوق لكل الناس، ورفضَ ايَّ تمييز على اساس اللون والجنس والعرق واللغة، فكما يقول تعالى في القرآن الكريم فان الانسانية من وجهة نظر الاسلام جاءت اساساً من نسل ابوين: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)) (الاعراف١٨٩) أي:لقد خلقكم الله من نفس واحدة. ويقول تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات ١٣) أي: يا ايها الناس لقد خلقكم الله من جنسين –الذكر والانثى– وجعلكم شعوباً وقبائل، لتتعارفوا فيما بينكم، وتتعاملوا مع بعضكم بالاحسان، وانَّ اكرمكم عند الله يوم القيامة اكثركم تقوى وصلاحاً. يخاطب الله تعالى الناس جميعاً في هذه الآية، وليس المؤمنين فقط، ويؤكد على ان الانسانية كلها من اصل واحد.

يوضح رسول الله (ﷺ) في احاديث كثيرة، اهمية مبدأ المساواة، كما جاء في حديثه:((ايها الناس ان ربكم واحدٌ، وانّ أباكم واحدٌ، كلكم لآدم وآدم من تراب، ان اكرمكم عند الله اتقاكم، لا فضل لعربي على اعجمي ولا لاعجمي على عربي، ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشّاهد منكم الغائب)) ففي هذا الحديث يقصد الرسول (ﷺ) بقوله ايها الناس –كل الناس على اختلاف الوانهم واديانهم واعراقهم ولغاتهم.

لهذا لا يوجد تصنيف للناس في الاسلام، فكل انسان مخلوق الله ويحيى بالروح التي منحها له، ويتمتع بكرامته، والتقدير والاحترام ليسا على اساس الاصل والنسل والقومية واللون والعشيرة والاسرة؛ بل هما بشيءٍ متوفر للجميع، وباستطاعة كل انسان الاستفادة منه، لعلاقته بارادته، وهو تقوى الله والصلاح.

فالغني والفقير والابيض والاسود والكوردي والعربي وابناء اية قومية اخرى متساوون امام حكم الله، ومن الضروري ان يتجذر هذا الشعور بالمساواة لدينا جميعاً.

اشكال المساواة

تتفرع من مبدأ المساواة مجموعة فروع واشكال، هي:

أ – المساواة امام الشَّرع والقانون:

كان الاسلام سباقاً في اقرار حقِّ المساواة امام الشَّرع والقانون، فالناس متساوون جميعاً فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، ويحاكمون بالعدل امام نفس المحكمة، وفي الاحكام الشرعية والقانونية لا يُميَّزُ احد او يُستثنى.

لا يستثنى احد من تطبيق القانون بدون عذر مقبول يحدده القانون، لذا لا وجود ولا مكان في الاسلام للتمييز الطبقي والنخب والطوائف والعنصرية.

لقد عدَّ الرسول (ﷺ) تمييز الفقير من الغني في تطبيق القانون سبباً في فناء الاقوام والحضارات وابتلائها بالمصائب بقوله في حديث شريف:((انما أُهلِك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشّريف تركوه واذا سرق فيهم الضّعيف اقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو انّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) أي: ان الاقوام التي ابتليت بالمصائب وفنيت حضاراتها، كان بسبب عدم معاقبة الاعيان اذا ما ارتكبوا جرماً كالسرقة، اما اذا سرق فقير او انسان ضعيف عاقبوه. واقسم بالله لو ان ابنتي فاطمة سرقت لقطعت يدها.

ان الصفحات المشرقة من تأريخ الاسلام ملآى بمثل هذه الامثلة على مساواة الناس امام القانون، فعلى سبيل المثال ادعى يهودي على الخليفة الراشدي الرابع علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) واتهمه بانه سرق منه درعه، فذهب معه الى القاضي، ولم يقبل ان يميِّزه القاضي في التعامل من اليهودي، من منطلق ايمانه بعدالة القضاء الاسلامي ومساواة الجميع امام القضاء.

وهذا يبين ان الحاكم والمواطن من وجهة نظر الاسلام، متساويان في تطبيق القانون عليهما، ولا احد اعلى من القانون والشرع باية ذريعة او لاي سبب.

ب – المساواة امام القضاء :

اذا كانت المساواة تعني العدالة، والعدالة من اسمى اهداف الاسلام، فمساواة الناس جميعاً امام القضاء نتيجة طبيعية لمبدأ المساواة امام الشَّرع والقانون، وهذا المبدأ يعني ان الناس جميعاً يجب ان يكونوا راضخين امام القضاء، ولا يمكن لاحد ان يتمتع بامتياز في هذا الحكم العام ويفضل على احد، ومن هذه الاجراءات:اجراء التحقيق حول جرم ما، وكل الاجراءات القانونية الاخرى، وعند فرض العقوبة ايضاً يكون الجميع متساوون.

جاء في خطاب بعثه الخليفة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) الى القاضي ابو موسى الاشعري:((آسِ بين الناس في مجلسك ووَجهك حَتَّى لا يطمَعَ شريفٌ في حَيْفك ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك)). أي: تعامل مع الناس اثناء الحكم بعدالة، حتى لا يطمع الوجهاء والاغنياء في ان تجاملهم على حساب العدل، ولكي لا يفقد الفقراء الامل في انصافك لهم.

على القاضي ان يمنح طرفي النزاع فرصاً متساوية، ليتمكّنا من اثبات اقوالهما ومطالبهما وعرض ادلتهما، وقد قال الرسول(صلى الله عليه وسلم) لعلي ابن ابي طالب(رضي الله عنه) عندما ارسله قاضياً الى اليمن:((... فاذا جلس بين يديك خصمان فلا تقضينَّ حتى تسمع كلام الآخر، كما سمعت كلام الاول)).

ج – المساواة في تقلد الوظائف العامة:

لقد جعل الاسلام النزاهة والاخلاص مقياساً لتقلد الانسان للوظائف العامة، وهذا الحق ليس خاصاً بفئة او مجموعة معينة، فالمهم ان يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، وان تطبق العدالة لا المحسوبية والمنسوبية، والا مساواة والفساد وسوء استخدام السلطة، يذكر القرآن الكريم صفات الشخص الذي يجب ان توكل اليه مهام العمل على لسان بنت النبي شعيب (عليه السلام):((... إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ))(القصص٢٦) أي: ان هذا الرجل الذي توكل اليه العمل كفوء ومتمكن والاهم من كل ذلك فهو صادق وأمين. ويوضح امير المؤمنين عمر ابن الخطاب(رضي الله عنه)بعض شروط تعيين رجال الدولة، بقوله:((اريد رجلاً اذا كان في القوم وليس اميرهم كان كانّه أميرهم، واذا كان أميرهم كان كأنه رجلٌ منهم)) ويقول في رسالة بعثها الى سعد ابن ابي وقاص(رضي الله عنه):((ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء)). أي: ليس لله قرابة او نسب مع احد في الدنيا، انما القرابة منه بطاعته، وكل الناس اغنياء وفقراء، متساوون امام الله.

د – المساواة في العبادة :

لا يميز الاسلام في العبادات والواجبات العامة بين الناس، فليس للغني عبادة خاصة به، وللفقير عبادة خاصة به، او عبادة معينة للرجل واخرى للمرأة، ولكن هناك تمييز بسيط بين – الهدف منه تطبيق العدالة – وهو رفع اداء فريضة الحج ودفع الزكاة بالنسبة عن الفقراء.

أسئلة :

١ – كيف ينظر الاسلام بصورة عامة الى المساواة بين الناس ؟

٢ – هل لامة او جنس معين فضل على الآخرين في الاسلام ؟

اذا كان الجواب (لا) فما السبب ؟

٣ – ما تأثير الشعور بالمساواة على الانسان المؤمن ؟



الدّرس الثالث عشر

٤ – حرية العقيدة والدين:

نقصد بحرية العقيدة والدين، حرية الفرد في اختيار معتقده ودينه، من دون ان تفرضه عليه اية جهة بالاكراه والقوة.

في عصر كان اكراه الناس على اتباع دين او عقيدة ما، امراً شائعاً، دعا الاسلام الى حرية العقيدة والدين، وحارب التعصب الديني، وهذا المبدأ والمعنى السامي تؤيده آيات من القرآن الكريم:((لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) (البقرة ٢٥٦) ويقول الله تعالى مخاطباً الرسول (ﷺ):((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)) (يونس٩٩) أي: لو اقتضت مشيئة الله ذلك لآمنَ الناس جميعاً –لكنه لم يشأ ذلك– فقد منح الناس الحرية في اختيار الايمان، فهل تكرههم انت على الايمان؟ وواضح ان السؤال هنا للتعجب، والقصد منه ان الله تعالى لم يمنح الرسول (ﷺ) هذا الحقَّ؛ بل من واجبه تبليغ هذه الرسالة بافضل شكل:((وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ...)) (آل عمران٢٠) أي: قل لاهل الكتاب وغيرهم هل اسلمتم؟ فاذا اسلموا فانهم قد اتبعوا هدى الله تعالى، وان لم يفعلوا، فاعلم ان واجبك هو تبليغ رسالة الله فقط.

ان الله منح الانسان حرية اختيار العقيدة والدين؛ لكنه مسؤول امام الله مقابل حريته هذه، وواجب الرسول (ﷺ) والدعاة من بعده الى يوم الدين، توضيح الحقائق للناس وارشادهم والسعي لاقناعهم ليسلكوا الصراط المستقيم:((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...)) (الكهف٢٩) أي: يا محمد بلغ الناس ما هو حق وانزل من ربك، ولهم حرية الاختيار فمن شاء منهم فليؤمن ومن لم يؤمن فليكفر.

من الضمانات التي يوردها القرآن لحرية الدين والعقيدة والعبادة، لاتباع الديانات الاخرى، وخاصة الاديان السماوية، انه حرَّم على المسلم النقاش معهم الا باللين والحسنى، يقول جلَّ شأنه:((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)) (العنكبوت ٤٦).

في ضوء هذا المبدأ، والنصوص المقدسة للقرآن والشريعة، يضمن الاسلام حرية العبادة لاتباع الديانات الاخرى؛ ولذلك حرَّم على المسلمين الاعتداء على معابدهم او التطاول على معتقداتهم، ولهم حرية التصرف في مجال العقيدة والاحوال الشخصية، حسب تعاليم اديانهم، حتى ان هناك بعض الامور المحرمة في الاسلام كشرب الخمر واكل لحم الخنزير، لا تمنع عنهم.

ومن الجانب التأريخي فانَّ الدول الاسلامية مقارنة بدول العالم الأُخرى، شهدت اكبر قدر من حرية الدين والعقيدة، ففي العصر العباسي مثلاً كان العلماء من اتباع الاديان الاخرى واحياناً

الملحدين ايضاً، يجرون مناظرات ومناقشات علمية في الجوامع والمدارس وقصور الخلفاء، حول الاديان الأُخرى.

باختصار فان الاسلام يضمن حرية العقيدة والدين لغير المسلمين، ويمنحهم حرية التعبد، وقد اقتبس العلماء من القرآن والسنة احكاماً عامة في هذا المجال، ولخص بالقول: اتركوهم وما يدينون. والاسلام ومنذ ظهوره في التاريخ يحمل شعاره الذهبي(لا اكراه في الدين) حتى ان حرية المنافقين ايضاً كانت مضمونة في ظل الاسلام، في حين انهم كانوا يحاربون المسلمين حرباً نفسية، ويذكرون الرسول (ﷺ) والمؤمنين بالسوءِ، فالاسلام اذن لا يجبر احداً على اتباعه كما لا يجبر المسلمين على البقاء في اطاره؛ لانَّ الايمان له علاقة بقلب الانسان ونفسه وقناعته؛ لذلك لا توجد في القرآن آية تشير الى قتل المرتدِ عن الاسلام؛ بل تشير الى عقابه يوم القيامةِ.

أسئلة :

١ – كيف تثبت ان الاسلام يؤمن بحرية الدين والمعتقد ؟

٢ – لماذا حُرِّمَ الاعتداء على الاديان والمعتقدات الاخرى ومعابدهم وحقوق اتباعها؟

الدّرس الرابع عشر

خامساً – حرية الفكر والتعبير:

هذا الحق مفاده انَّ الانسانَ حرٌّ في التعبير عن رأْيه أو فكره الذي يؤمن به، بوضوح او بالايماء، سواء كان شفهياً او تحريرياً، او بوسيلة اخرى من وسائل الاعلام.

كان الاسلام على مر التأْريخ من الاديان والشرائع التي حررت عقل الانسان من الكثير من القيود والخوف، وحثته على التفكير في اسرار الكون وحياة الانسان، كما ان الله تعالى مدح الواعين والذين يستخدمون عقولهم، ولا يرضون بالتقليد الاعمى لآبائهم واجدادهم، كما في قوله جلَّ شأْنه:((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (الجاثية١٣) وقوله:((وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)) (آل عمران٧). تبين هذه الآيات ان المفكرين لهم القدرة على فهم آيات الله تعالى، ورسالته.

الانسان من وجهة نظر الاسلام حرٌّ في الكتابة في اي مجال يريد او يجري تحليلاً معيناً، شرط ان يراعي النظام الاجتماعي العام، والاجتهاد من اوضح الادلة على احترام الاسلام للفكر وايمانه بحريته، فمن حق العلماء للرد على الاسئلة وايجاد الحلول للمشكلات الاعتماد على الاجتهاد كمصدر للحل، اي ان يعملوا عقولهم ويبدوا آراءهم حول تلك المواضيع، وكيفية ايجاد الحلول للقضايا العالقة.

الايمان بحقِّ الاجتهاد ايمان بحقِّ الاختلاف الفكري وتقديره، لانّ تفكير العلماء ليس متشابهاً، وفي كثير من الاحيان كانت وتكون لهم وجهات نظر مختلفة حول الامور.

انَّ حقَّ الاختلاف، يتطلب عدم اجبار الناس من قبل السلطة او منتدى للعلماء، على اتباع رأي معين، ورفض الآراء الاخرى.

الاسلام رسالة فكرية الهية واضحة وصريحة وقوية، ولم يخفْ الاسلام يوماً من حرية الفكر والعقيدة؛ لانَّ قيمه تزدهر في ظل الحرية، فاذا كان الاسلام قد منح الانسان الحرية في اهم مسألة، وهي مسألة الايمان واختيار الدين، وضمن حقوق متبعي الاديان الاخرى، فجلي بانه في مستويات الفكر والعقيدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية سيكون نهجه وشعاره الحرية؛ لذا فان اية محاولة لفرض فكر معين، او منع الناس من العيش في اطار القانون والمحافظة على التعايش السلمي–حتى لو كانت باسم الاسلام– فانها ضد روح الاسلام وقيمه السامية، والاسلام يحاربها، لان حرية الفكر والعقيدة اذا كانت مهمة في السابق، ونظر الاسلام اليها من هذا المنظور، وشهد التاريخ الاسلامي ظهور انواع مختلفة من الفكر والمعتقدات، فهذه المسالة مهمة اكثر من السابق والناس ينظرون اليها بوعي اكبر.

اسئلة :

١ – لماذا يجب ان تضمن حرية الفكر والمعتقد ؟

٢ – ترى هل منعنا الاسلام من استخدام عقولنا في سبيل تطوير الحضارة وابداع ما هو حديث ؟



الدّرس الخامس عشر

٦ – حق حرية العمل :

واضح ان العمل من اهم اسباب الحياة والانتاج، فالاديان والثقافات المختلفة والمصلحون يحثون الانسان على العمل والابتعاد عن الكسل والبطالة.

لقد اولى الدين الاسلامي اهمية كبيرة بالعمل، وهناك عدة احاديث تحث على العمل وتنتقص من البطالة، مثل قول الرسول(ﷺ):((أفضَلُ الكَسبِ بيعٌ مبرورٌ، وعمل الرجل بيده)) أي: من افضل الاعمال البيع والشراء وعمل الانسان بيده. وقوله(ﷺ):((انّ الله يحبُ المؤمن المحترفَ)) أي: ان الله يحب المؤمن ذو المهنة. وقوله(ﷺ):((انّ الله تعالى يحب اذا عمل احدكم عملاً ان يتقنه)) أي: ان الله يحب ان تتقنوا اعمالكم وتخلصوا في ادائها.

من الواضح انّ العمل والثورة الصناعية في المجتمع المعاصر، نالا اهمية كبيرة، واصبح العمال طبقة كبيرة لها تاثيرها في النقابات والمجتمع، وللعمال دورٌ كبير في الحياة المهنية واحياناً السياسية ايضاً.

ويقصد بحق العمل ان للانسان على الدولة حقُّ اداء عملٍ او تركه واختيار ما يناسبه من عمل، وان لا يمنع من عملٍ معين ويفرض عليه غيره، وهذا ما كان سائداً في بعض المراحل التاريخية.

وسنحاول فيما يأتي اختصار كل ما يتعلق بهذا الحق:

١ – الاسلام يحث على العمل:

يحثنا الاسلام على حبِّ العملِ، وان يصبح جزءً من حياتنا، وترك الكسل والبطالة، يقول الرسول الاكرم (ﷺ):((من أمسى كالاً من عملِ يَدِه أمسى مغفوراً لهُ)) أي: من عمل طوال اليوم، وأكل من عمل يده، فانَّ الله تعالى سيغفر له ذنوبه.

انَّ هذا الحديث يمنح العمل قيمة عالية ومقدسة، فالله سبحانه وتعالى يكافِئُ الانسان عليه بمغفرته، وهذا يعني ان العمل الحلال من غير غشّ يعتبر من الاعمال الصالحة.

كما يهدد الرسول (ﷺ) العاطلين الذين يرضون بعيش الكفاف، بقوله:((اشدُّ الناس عذاباً يوم القيامةِ الكفي الفارغ)) أي:ان العاطلين الذين لا يعملون ويرضون بحياة الكفاف التي ملؤها العذاب والعوز، سيعاقبهم الله اشدَّ العقابِ. فالاسلام لا يريد للانسان ان يكون عالة على الآخرين؛ بل عليه ان يكون قوياً وعنصراً فعالاً في المجتمع ويعيش عزيزاً، يقول (ﷺ):((المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ الى الله من المؤمن الضعيفِ)) أي: المؤمن المقتدر العامل احبّ الى الله من الضعيف العاجز؛ لذا فمن واجبنا ان نبحث في ظل الحق والعدل عن مصادر القوة، ونحب العمل والنشاط من اجل ذلك.

٢ – حق الانسان في توفير فرص العمل :

يعتبر الاسلام توفير فرص العمل للمواطنين من واجبات الدولة، ليستغلوا طاقاتهم المتنوعة لايجاد مصدر للعيش الكريم لهم، حتى لا تذهب طاقاتهم سدى ويصبحوا عالة على المجتمع.

٣ – حق العامل في استلام اجره في الوقت المحدد :

اوجب الاسلام على صاحب العمل ان يحدد قبل بدء العمل اجر العامل، وان يدفع له اجره عند انتهاء العمل او الوقت المتفق عليه، روي عن الرسول(ﷺ) انه نهى عن استئجار الاجير –العامل– حتى يبين له اجره، حتى لا يهضم حقه، وان لا يستغل بسبب حالته الاجتماعية.

كما يقول الرسول(ﷺ):((اعطوا الاجير اجره قبل ان يجفَّ عرقه)) أي: ادفعوا للعامل اجرته قبل ان يجف عرقه من جراء العمل؛ لانّ قسماً من العمال دخلهم محدود ويعيشون من اجور اعمالهم اليومية في سوق العمل.

يرى بعض علماء الشرع انه في حال لم يدفع صاحب العمل اجور العمال فان العمل الذي انجزوه هو ضمان لاجورهم، وبامكان الشرطة من دون الرجوع الى القضاء بيع تلك الاشياء ودفع اجور العمال من قيمتها، وفي كل الاحوال لا تسمح المحاكم بهضم اي حق للعامل، وفي حال وجود دعوى قانونية حول عدم دفع الاجور، يجب ان تدفع الغرامة واجور المحاماة او اية اجور اخرى من قبل صاحب العمل.

٤ – توفير رواتب الموظفين واجور العمال، بحيث تضمن لهم حاجاتهم المعيشة بشكل متوسط:

تتطلب العدالة التي هي قيمة عظيمة للاسلام، ان يكون اجر كل انسان متناسباً مع عمله، وان يعيش الجميع –على الاقل– عيشة كريمة؛ لان الاجور المتدنية، عند بعض الناس تكون سبباً لاخذ الرشوة وسرقة المال العام، وهي بالطبع جرائم يعاقب عليها القانون.

وادنى اجر في الاسلام هو ما يوفر الحاجات الاساسية للانسان، فمن حقِّ كل عامل وموظف –من منظور الاسلام– ان يمتلك مالاً وزوجاً ووسيلة نقل ومصدراً للعيش.

وكما قال الرسول الكريم(ﷺ) في حديثٍ شريف:((مَنْ ولي من امرنا، وليس له منزلٌ فليتخذنَّ منزلاً، او ليس له زوجة فليتزوج، او ليس له خادم فليتخذ خادماً، او ليس له دابة فليتخذ دابّة، فمن اتخذ سوى ذلك، جاء يوم القيامة غالاً مسرفاً)) أي: من تولى وظيفة في الدولة فله حق امتلاك منزل والزواج ووسيلة نقل، ومن تجاوز عن ذلك يعتبر في يوم القيامة خائناً ومسرفاً.

وهذا الصحابي ابو عبيدة عامر بن الجراح(رضي الله عنه) ينصح عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) فيقول له:((اذا استعملتم فاجزل لهم العطاء فلا يحتاجون)) أي: امنحوا من توكلون اليهم الاعمال ما يسد احتياجاتهم، فيستغنون.

٥ – منح القروضِ والمِنَحِ للعمال :

اسلوب آخر في الاسلام لتوفير فرص العمل وتشغيل الايدي العاملة، عن طريق شراء المعدات للحرفيين المختصين بمهنة معينة، لكن ليس باستطاعتهم توفير المعدات الضرورية لانجاز عملهم، يرى الامام الغزالي انّ من واجب الدولة توفير المعدات لهؤلاء الاشخاص ومساعدة المشترين واصحاب العمل ودعمهم، كما تفعل ذلك الحكومات الخدمية في عصرنا هذا.

يستند الامام الغزالي في رأْيه هذا على حديث الرسول (ﷺ) عندما جاء اليه رجل يشكو فقره، فاعطاه درهمين وقال له:((كُل باحدِهما، واشترِ بالآخرِ فأساً فاعمَلْ بِها)).

كما يقول القاضي ابو يوسف الذي كان من اصحاب الامام ابو حنيفة النعمان:((اذا لم يتمكن صاحب ارضٍ من زراعتها، فعلى بيت المال –او المصرف الزراعي في عصرنا هذا– ان يقدم له مساعدة تمكنه من استصلاح ارضه والعمل فيها)). وهذا يعني انّ من واجب الدولة مساعدة الفلاحين واصحاب الحرف، عن طريق منحهم القروض او المنح، ليتمكنوا من توفير مستلزمات العمل، فلا يكونون عاطلين عن العمل.

٦ – من حق العاطلين عن العمل منحهم الضمان الاجتماعي:

الحالة الطبيعة هي ان يتمكن الانسان من العيش من كده وعمله، واذا لم يتمكن من ايجاد عمل فعلى الدولة محاولة توفير فرصة عمل له، ولا يشترط –كما هو الحال في بلدنا– ان يكون ذلك عن طريق التعيين في دوائر ومؤسسات الدولة، واذا لم تتمكن الدولة من توفير فرص العمل، فعليها وعلى المنظمات والجمعيات الاجتماعية توفير الضمان الاجتماعي لاي مواطن خلال فترة البطالة، لمساعدته–على الاقل– في توفير مستلزمات العيش الضرورية؛ لانّ لكل انسان حق المحافظة على كرامته، كما ان التسول في الاسلام امر محرم، ولا يجوز السماح به.

يقول العلامة المشرع (ابن عابدين):((للقاضي ان يلزم ولي الامر بالانفاق على الفقير العاجز)) أي: للمحكمة الزام الدولة بالانفاق على الفقير العاجز عن العمل لاي سبب كان.

كما يقول الامام العالم (ابن تيمية):((اذا لم يسد الزكاة حاجة الفقراء، فمن واجب الدولة توفير تلك المستلزمات، واذا لم يقم رجال الدولة بذلك، فمن حق المحتاجين رفع دعاوى للمحاكم على الدولة ورجالها)).

٧ – العيش الكريم حق لكل انسان:

الاسلام متفق مع المبدأ الذي يرى ان على الدولة توفير حياة كريمة لكل المواطنين دون استثناء، فقد كان الرسول (ﷺ) وخليفته ابو بكر الصديق(رضي الله عنه) يوزعان اموال الدولة بالتساوي على الناس؛ لانّ المال العام فيه حق المواطنين جميعاً، كما قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه):((واللهِ الذي لا

اله الا هوَ ما احدٌ الا وله في هذا المالِ حقٌّ، وما أَحدٌ أَحقُّ بهِ مِنْ أَحدٍ، وما أنا فيه الا كأَحدِهِم)) أي: قسماً بالله تعالى لكل فردٍ حقٌّ في مال الدولة، ولا تحق لاحد دون غيره، وانا كواحد من هذه الامة.

كان للبالغين نصيب من بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين، وعلاوة على ذلك كان للمواليد الجدد ايضاً حقٌّ او نصيب من بيت المال.

٨ – حق ذوي الاحتياجات الخاصة في الضمان الاجتماعي :

تحدثنا سلفاً انّ على الانسان العمل ليوفر مستلزمات عيشه، واذا لم يتمكن من ايجاد عملٍ فمن واجب الدولة توفير مستلزمات العمل أو ايجاد فرص العمل له، واذا لم يتم اي من تلك الامور فعلى الدولة تقديم الضمان الاجتماعي له ولعائلته التي يعيلها.

اذا لم تتمكن الدولة من اعالة العاطلين عن العمل او العاجزين عنه فما العمل؟ لقد اوضح العلماء المسلمون من البداية انه في حال عدم تمكن الدولة من اداء هذا الواجب، فانّ المسؤولية تقع على عاتق مؤسسات المجتمع وخاصة الطبقة الغنية من المجتمع.

يقول العلماء في هذا المجال: اذا لم يسد الزكاة والمصرف المركزي حاجة الفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة من ابناء المجتمع، فعلى الاغنياء والمؤسسات الخيرية توفير المستلزمات الاساسية لهم، كالسكن والمأكل والملابس والرعاية الصحية.

خلاصة القول في هذا المجال: ان الاسلام يعتبر العمل قيمة عليا من قيمه ويحث على العمل، وللانسان حق العمل؛ بل من واجبه ذلك وتسخير القدرات التي منحها الله له، وليس لاحد الحق في ان يفرض عليه عملاً ما بالاجبار، لأنّ السخرة في الاسلام حرامٌ، ومن جهة اخرى يجب الحفاظ بشكلٍ جيدٍ على حقوق العاملين، لذا فان روح الاسلام وتعاليمه تتفق في هذا العصر مع اصدار قانون عملٍ عادلٍ، وتوفير فرص العمل والضمان الاجتماعي والرعاية الصحية وتأمين العيش الكريم والمرفه للعاملين والموظفين.

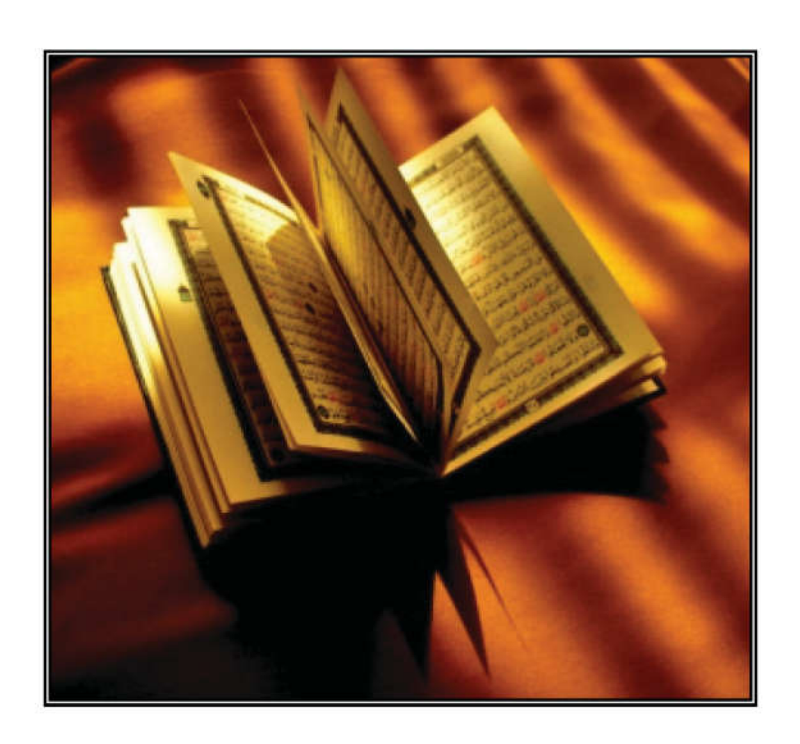
أسئلة :

١ – هل حق العمل في الاسلام مرتبط بتوفر فرص العمل للانسان فقط؟

٢ – ما المسؤولية التي تقع على عاتق المجتمع من منظور الاسلام للقضاء على البطالة والفقر؟

مناقشة :

ما علاقة موقف الاسلام من حرية العمل والضمان الاجتماعي في عصرنا هذا؟



الدّرس السادس عشر

سابعاً – حق تقرير المصير :

اذا كانت الكرامة الانسانية اساساً لحقوق الافراد، فانها حجر الاساس لحقوق وحريات الشعوب، لان ابناء شعب محتل ومجرد من الحقوق، لا يمكنهم الشعور بكرامتهم وعزتهم كبشر، لذا فان حق الشعوب والامم في تقرير مصيرها ومساواتهم مع بعض والتعامل الانساني معهم جزءٌ من حقوق الانسان وحماية كرامته من الجرح والانتقاص منه.

لقد اقر ميثاق الامم المتحدة هذا الحق، واشار الى ان من اهداف هذه الامم التي شكلت منظمة المتحدة، تطوير علاقات الصداقة بينها على اساس منح حق المساواة لجميع الشعوب ولكل منها حق تقرير مصيره.

ان المادة الاولى من المعاهدتين الدوليتين الخاصتين بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية اوضحت هذا الحق، حيث جاء فيها:

((لكل شعب حق تقرير مصيره، وحسب هذا الحق له حق تقرير مكانته السياسية وحريته المضمونة وتأمين الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي)).

ان حق تقرير المصير عبارة عن تقرير كل شعب او امة –بارادته الحرة– بعيداً عن اي ضغط، مكانته السياسية وعلاقاته مع الشعوب والامم الاخرى وتحديد نظام حكمه.

ويقسم حق تقرير المصير الى ثلاثة انواع:

١ – الاتحاد الاختياري (الفيدرالية).

٢ – الانضمام الى دولة اخرى (اتحاد قسمين من شعب واحد).

٣ – تاسيس الدولة القومية المستقلة.

والآن لنعرف ما هي وجهة نظر الاسلام الى حق تقرير مصير الشعوب وكيف نفهمها؟

الاسلام وحق تقرير مصير الشعوب

واضح انه عند نزول القرآن لم يكن لهذا المصطلح وجود على الارض، لان حق تقرير مصير الشعوب ظهر بعد ظهور الفكر القومي وبعد الثورة الفرنسية في اوربا، وبشكل ادق في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، لكن هذا لا يعني انه ليس بامكاننا فهم هذا الحق من منظور القيم العليا والمباديءِ العامة للاسلام.

اذا ما عدنا الى القرآن الكريم كما اشرنا في المباحث السابقة، نفهم ان الانسان على الارض هو قائد نفسه وحريته ملك له، ومصدر هذه الامور ان الله تعالى جعله خليفة على الارض لاعمارها، ومنحه القدرة والارادة على الاختيار، يقول تعالى:((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)) (البقرة ٣٠).

كما منح الله تعالى الانسان حق تقرير مصيره وعلاقته مع الآخرين ومع خالقه، يقول تعالى: ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)) (الانسان٣) أي: لقد ارشدنا الانسان الى سبيل الحق، وهو حرّ–بارادته وحريته– في اختيار سبيل الايمان وشكر الخالق، او الالحاد والنكران.

انّ هذا الحق في الاختيار وتقرير المصير، وكما هو حقٌّ لانسان، فهو كذلك حقٌّ لمجموعة او شعب او امة؛ لانّ الله تعالى منح جنس البشر الحرية، فالانسان فردٌ وهو من مكونات الاسرة والشعوب والامم.

السؤال هنا هو: اذا كان الله تعالى منح الانسان الحرية في ادق مسألة من الثوابت، وهي الايمان فله حق اختياره او العكس، وليس لاحد اجباره على اي شيءٍ، لانّ الاجبار محرم في الاسلام: ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ...)) (البقرة ٢٥٦). فكيف بمسألة سياسية كالعيش في اطار دولة او نظام سياسي أوحكم معين؟ وهي مسألة من المتغيرات، ومرتبطة بتطور الانسان في اطار قيم العدالة والشورى والحرية والمساواة، فهل من المعقول اجبار الشعوب –بدون ارادتها– على العيش في اطار سياسي معين؟

انّ الاسلام يحترم الارادة التي منحها الله تعالى للبشر، فليس مهماً عند الله ان تكون للشعوب دولها المستقلة، او ان تختار بحرية وبارادتها العيش المشترك في اطار نظام فدرالي؛ بل ان المهم هو الاخذ بعين الاعتبار القيم الاسلامية السامية كالعدالة والمحافظة على كرامة البشر ومحاربة الظلم، والشورى والحرية والمساواة، فمن منظور الاسلام تكون مشروعية الحكم والحكام بناءً على عقد مصدره الشعب والمواطنون، والشعب هو مصدر القرار، ولا يحق لاحدٍ ان يفرض نفسه عليه بدون ارادته.

اذن وقبل كل شيءٍ يجب اجراء استفتاء بين الشعوب المختلفة –وخاصة الشعوب التي ليس لها كيان قومي مستقل لحد الآن– لمعرفة ما اذا كانت تريد البقاء في اطار الدول التي تعيش فيها، ام انها ترغب في الاستقلال وتشكيل كيان خاص بها، وخلافاً لهذا فان استخدام القوة لقمع امة وابقائها قسراً في اطار دولة وحرمانها من حق تقرير المصير امر مضاد لروح الاسلام وقيمه العليا، ومنها محاربة الظلم والاضطهاد ورفضهما.

لانَّ الاسلام يحارب الظلم والاضطهاد، في اي اطار كانا، وحرمان الشعوب من حق تقرير المصير وعدم احترام ارادتها التي منحها الله لها، ينجم عنه الكثير من الظلم والاضطهاد، وبهذا ومن منظور المباديء والقيم الاسلامية يتبين لنا ان وجهة نظر الاسلام في هذا المجال تؤيد حق تقرير المصير للشعوب ومساواتها.

أسئلة :

١ – كيف نفهم معاني حق تقرير المصير من منظور الاسلام ؟

٢ – على ايِّ اساس جعل حق تقرير المصير حقاً للشعوب في الاسلام ؟

مناقشة :

١ – ما علاقة حق تقرير المصير بمفهومي (التآخي) و(المساواة) في الاسلام؟

٢ – هناك اناس يقفون ضدّ نيل بعض الشعوب الاسلامية حقوقها، اين يكمن الخطأ في وجهة النظر هذه من منظور الاسلام ؟





القسم الرابع

القيم الاسلامية

الدّرس السابع عشر

القيم الاسلامية

أولاً – **الحوار** :

الحوار قيمة اسلامية وانسانية، يتمكن بها الانسان من التعامل الصادق والصحيح مع محيطه، وتقود الامم والمجتمعات الى قمة التطور والكمال.

اهمية الحوار في الاسلام

كان الحوار منهج جميع انبياء الله تعالى (عليهم السلام) خلال دعوتهم الناس الى الخير والصلاح وعبادة الله، وقد اولى الاسلام اهتماماً كبيراً بالحوار ويعتبر من احد مباديءِ هذا الدين الالهي.

لقد تحاور الله تعالى مع ملائكته، ومع آدم(عليه السلام) عندما خالف أمره، ومع الشيطان عندما عصاه، وحتى مع الكافرين قبل ان ينزل عليهم عقابه، وكان الحوار نهج الرسول(ﷺ) لتبليغ رسالته والتعامل مع اتباع الاديان الاخرى والمحيطين به؛ لانّ الاسلام لم يخف ابداً من الحوار الحر وحرية التعبير عن الرأي، وكان قوياً دائماً، بحيث انه في ظل تلك الاجواء كان يُوسِّع انتشاره، ويجذب اليه قلوب الكثيرين من الناس.

اهمية الحوار في الحياة

للحوار اهمية كبيرة في حياة الامم والمجتمعات، نشير فيما يلي الى جانبين فقط من تلك الاهمية، وهما :

١ – للحوار الهاديءِ والجدي دور كبير في حلِّ المشكلات، عن طريق تقليل الاختلافات والخلافات، وتآلف القلوب وتوسيع دائرة الاتفاق بين الاطراف المختلفة غير المتفقة.

٢ – توطيد العمل المشترك وتعميق التآخي والتسامح بين الاديان والشعوب والامم، من اجل بناء غدٍ مشرقٍ للجميع.

ما هو الحوار ؟

الحوار عبارة عن تبادل ومراجعة الآراء بين طرفين بهدف التوصل الى مجموعة نقاط مشتركة، في اجواء يهيمن عليها الهدوء والاتزان.

الحوار وعلاقته بالاختلاف

الاختلاف بين صفوف المجتمع الانساني من القوانين الالهية في هذه الحياة؛ لانه من المستحيل ان يتفق الناس على صيغة موحدة للحياة والتفكير، لذا سيبقى الاختلاف موجوداً على هذه الارض ما دامت الحياة فيه مستمرة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)) (هود١١٨) أي: يا محمد لو اراد الله ان يجعل الناس امة واحدة لجمعهم على

نهج واحد؛ لكنهم-اي الناس والى وقتنا الحاضر- مختلفون. يقول الامام الرازي:((يقصد اختلاف الناس في الدين والاخلاق والعمل والسلوك)).

واضح انه علاوة الى الايمان بالحوار، فان اختلاف وتعدد الاديان والقوميات والسياسة والاقتصاد والثقافة، ليس مصدراً للشَّر؛ بل هو عامل مهم لاغناء الحضارات والحياة.

الحوار في القرآن الكريم

يحثُّ القرآن الكريم المؤمنين على الاعتماد على الحوار في تبليغ رسالتهم للاقناع، ويمنعهم من فرض معتقداتهم على الآخرين، وقد وضع الكثير من الامثلة امام اعينهم، ليتمكن المؤمنون بالاستفادة منها من حلِّ مشكلاتهم الداخلية والخارجية عن طريق الحوار، وان لا يلجؤا الى اي طريقة اخرى قدر الامكان، وواضح ان الله تعالى صاحب قدرة لا حدود لها، وبامكانه بكلِّ سهولة ان يخرس من يكفرون به ويعادونه؛ بل وان يمحوهم من الوجود؛ لكنّ الله تعالى لا يفعل ذلك ويريدنا ان نفهم ان السبيل الطبيعية لحلّ المشكلات والتعامل مع المختلفين عنّا، سواء كان الاختلاف دينياً او قومياً او سياسياً او اي شيءٍ آخر، هي الحوار والاتفاق.

ان اهتمام القرآن بالحوار جاء بشكل انه ورد فيه (١٧٠٠) مرة بصيغ واشكال مختلفة. فالقرآن يروي لنا قصص وملاحم انبياء الله تعالى(عليهم السلام) الذين حاولوا اقناع شعوبهم ومللهم عن طريق الحوار والجدال الحسن، وتوصيل رسالتهم اليهم.

كما يدعو القرآن اتباع الاديان الاخرى، للاجماع على مجموعة نقاط مشتركة، تشترك فيها كل الاديان اساساً، يقول جلَّ شأْنه:((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) (آل عمران ٦٤) أي: يا اصحاب الكتب السماوية، اتفقوا على مسائل مشتركة بيننا وبينكم، وهي: لا نشرك بالله شيئاً، ولا نجعل احداً الهاً غير الله، ونمنحه سلطة مطلقة فيذلنا وينفذ ما يشاء ويرضي اهواءه.

مستلزمات الحوار الناجح

ليكون الحوار ناجحاً، فعلى اطرافه مراعاة بعض المباديءِ، ومنها:

١ - التحدث بعلمية وموضوعية :

يجب على اطراف الحوار ان يتهيّؤا بشكل جيد، ويكونوا على استعداد كامل وان تكون جميع جوانب موضوع الحوار واهدافه واضحة لديهم، وان يكون كل طرف على معرفة جيدة بالطرف المقابل، يقول تعالى في القرآن الكريم بهذا الصدد:((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) (البقرة

١١١) أي: اذا كنتم صادقين في قضيتكم فاوردوا ادلتكم وحججكم، التي تثبت صحتها. ويقول جلَّ شأنه:((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)) (الاسراء ٣٦) أي: لا تقف عند امر لا علم لك به، ولا تستند اليه، اذا لم يكن لك علم به ولم تتبين منه جيداً، ولا تعرف حقيقته.

٢ – ادراك ما يخالف قانون الكون :

كما اسلفنا فقد خلق الله تعالى الناس بالوان والسنة وامم وعقول مختلفة، وكل هذا يعني ان التعددية حالة طبيعية للحياة والكون، ويجب ان تقدر هذه الحال، وكل من يحاول محو الاختلافات فانه يخالف بذلك ارادة الله؛ لان ارادة الله تقضي ببقاء هذه الاختلافات، يقول تعالى في محكم كتابه:((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)) (الروم٢٢) أي: من آيات الله تعالى خلق السماوات والارض واختلاف الوان ولغات الناس، وهذه ادلة وعلامات للعالمين.

يجب على اطراف أي حوار ان يبداوا بالاعتراف بهذه الاختلافات والاختلاف فيما بينهم، وينطلقوا من هذا المنطلق للبحث عن الاتفاق على مجموعة نقاط مشتركة بينهم.

٣ – عدم الاجبار:

من الشروط الاساسية للحوار حرية الاطراف في التعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم والامور التي سيتفقون عليها، ولا يحقُّ لطرفٍ ان يجبر او يرعب الطرف او الاطراف الاخرى للحوار. يقول تعالى : ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..)) (البقرة ٢٥٦) ويقول جلَّ شأنه:((... وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ)) (ق ٤٥) أي: يا محمد انت لست جباراً، لتجبر الناس على امرٍ لا يقبلون به، عليك فقط ان تذكِّر بالقرآن من يخاف من وعيد الله تعالى واليوم الآخر، بالحقائق.

واضح ان الله تعالى منع اجبار الناس على اتباع دينه، فلا يحقُّ لاية قوة او جهة ان تفرض ارادتها على الآخرين بالاجبار.

٤ – الاهتمام بالنقاط المشتركة والتقارب :

لا شكَّ انّ هناك دوماً مجموعة نقاط مشتركة بين اطراف الحوار، لذا فليس من الممكن ان تكون الخلافات كبيرة بحيث تصبح موضع خلاف وتخلق المشكلات، بحيث لا يمكن لتلك الاطراف التعايش معاً، وحول روح الحوار واحترام رأي المقابل، يقول الامام الشافعي:((ان رايي صائب ويحتمل الخطأ، وراي معارضي خطأ ويحتمل ان يكون صائباً)) ويقول الامام مالك:((لا تحسم الخلاف، دع الناس وما اختلفوا)) أي: لا تحسموا الخلافات بين الناس ودعوهم يحتفظوا بها. وتزخر صفحات التأريخ الاسلامي بمواقف مشرفة لاحترام الاختلاف.

المحاور الناجح هو الذي يبدأ كلامه بالنقاط المشتركة، وان لا يثير الخلافات في البداية، لتكون مسألة محاولة التوصل الى حلّ مشترك وتصغير هوة الخلاف، امراً يسعى اليه الطرفان او اطراف الحوار جميعاً، وكما اسلفنا فانّ القرآن يدعو اتباع الاديان السماوية الى الاتفاق على نقاط مشتركة، تشترك فيها هذه الاديان.

٥ – حسن الاستماع :

يجب ان يكون المحاور الناجح مستمعاً ناجحاً؛ لأنّ الاستماع الجيد عامل مساعد لفهم المقابل ومعرفة اسلوب تفكيره، كما يجب عليه عدم مقاطعة المقابل، وبهذا يكسب احترامه، ويجعله مستعداً أكثر للاتفاق.

٦ – البدء مما هو أهم :

المحاور الناجح هو الذي يبدأ من الامور الاهم، ولا يضيِّع وقته ووقت الآخرين بالامور الجانبية على حساب الامور المهمة، فمثلاً عندما كان انبياء الله تعالى(عليهم السلام) يدعون شعوبهم الى دين الله، كانوا يبدؤن بالايمان لانه اساس المسائل الاخرى، يقول تعالى:((... اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...)) (الاعراف ٥٩و٦٥و٧٣و٨٥).

٧ – احترام الحقيقة:

على الانسان خلال التحاور وخاصة التحاور الفكري ان يحترم الحقيقة ولو صدرت من الطرف المقابل، يقول الامام الشافعي حول هذه المسألة:((عند مناقشتي مع اي شخص حول مسألة علمية دعوت الله ان ينطق بالحقّ)) وهذا يبين لنا ان المحاور المحب للحقّ، لا يبغي الانتقاص من محاوره؛ بل يبغي الوصول الى الحقيقة ويقدرها.

٨ – الابتعاد عن الضمير (انا) :

على الانسان اثناء التحاور – قدر الامكان – تجنب استخدام لفظة (انا) و(نحن) لان ذلك يخلق العراقيل بينه وبين الطرف او الاطراف الاخرى، ويوحي للمقابل ان رأْيه فقط هو الاصح ولا يابه برأْي الآخرين، وانه يريد فرض رأْيه، وحول اخذ هذا الامر الواقع بعين الاعتبار، يؤكد الله تعالى دوماً ان انبياءه اناس مثلهم كمثل اي انسان آخر، وان الله كرمهم فقط بانزال رسالته اليهم، ولا يحق لهم التعالي وفرض عقيدتهم على الناس او النظر اليهم باستحقار.

أسئلة :

١ – لماذا يجب ان نلجأَ الى الحوار ونعتبره النهج الطبيعي لحلِّ الخلافات والمشكلات؟

٢ – ما تأْثير ايمان الفرد بالحوار على طريقة تفكيره وسلوكه ؟

مناقشة :

ترى هل الايمان بالحوار يعني عدم الدفاع عن النفس عند تعرض الشعب والوطن الى هجوم ما ؟



الدّرس الثامن عشر

بعض الآراء المخالفة لمباديء الحوار

كما اسلفنا فرغم ان الحوار قيمة اسلامية وحضارية، وهو سبيل نجاح ووصول الشعوب المسلمة وكل شعوب العالم الى قمة الحضارة والتطور؛ لكن وبسبب سوء الفهم للاسلام، وبعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية، والمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وظلم الانظمة السياسية في بعض البلدان الاسلامية، والتخلف الفكري، انتشرت بعض الافكار الغريبة عن روح الاسلام ومباديء الحوار، بين جزءٍ من المسلمين، وقد اضرت بشكل كبير بالاسلام والمسلمين ومجتمعاتهم، وتتجسد هذه الافكار في تكفير الناس والتطرف، وسنشير اليها باختصار في ادناه.

أولاً — التكفير:

يعتبر تكفير المسلمين مسألة خطيرة جداً، فتفكير من هذا النوع علاوة على انه لا ينسجم مع مباديء الدين الاسلامي الحنيف، فانه منافٍ لروح الحوار.

معنى التكفير:

التكفير معناه اطلاق صفة الكافر على مسلم اقرَّ بالشهادتين، على اساس فكرة او قول او تصرفٍ بدرَ منه.

حكم تكفير المسلمين في الاسلام :

كما اسلفنا فانّ الاسلام يرفض فكرة تكفير المسلمين، وقد ورد هذا الرفض بوضوح في عدة آيات واحاديث نبوية.منها :

١ — يقول الله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...))(النساء٩٤) أي: يا ايها المؤمنون عندما تتوجهون الى الجهاد في سبيل الله، ميّزوا بين الامور وتعاملوا مع الامور برشد، فاذا سلّم عليكم شخص ما في ساحة المعركة، فلا تتهموه بانه يفعل ذلك خوفاً منكم وانه غير صادق وغير مؤمنٍ، ترى هل تنون الحصول على مكاسب دنيوية أم تسعون لارشاد الناس.

يرشد الله تعالى المؤمنين في هذه الآية، الى ان لا يتهموا شخصاً اعلن اسلامه واعتبر نفسه مسلماً، بالكفر أَو اعتباره كافراً.

٢ — يقول الرسول(ﷺ) في حديث شريف، يقصد منه توعية المؤمنين لتجنب جريمة تكفير المسلمين:((مَنْ رَمى مؤمناً بكُفرٍ فهوَ كَقَتْلِه)) أي: ان تكفير المسلم كقتله، وهذا دليل على انّ تكفير المسلمين جريمة كبرى.

مـن منطلـق اتبـاع مـنهج الاسـلام، والالتـزام بـاوامر رسـول الاسـلام(ﷺ) كـان الصـحابة(رضي الله عنهم) يتجنبون تكفير المسلمين وكل من يعتبر الكعبة قبلة له، او اعتبارهم فسّاقاً، يـروى عـن ابـي سـفيان انه قال:قلت لجابر بن عبدالله: هل قلتم لاحد من المسلمين الذين يتوجهون الى القبلة انه كافر ؟ قالَ: لا، فقلت : فهل قلتم له انه مشرك؟ قال: اعوذ بالله.

مخاطر التكفير

للتكفير آثارٌ سيئةٌ؛ لهذا فقد حرّمه الاسلام، ومنها:

١ – تقسيم المجتمع الاسلامي، عن طريق الشغب واشعال نار الفتنة، ونشر الكره والحقد، واحياناً عن طريـق القتـل والارهـاب وسـفك الـدماء، في حين انّ الاسـلام نهـى عـن اشـعال الفتنـة ونشـر الكره والحقد.

٢ – تضييق الخناق على حرية الفكر والرأي، خاصة بالنسبة للعلماء والمفكرين، خوفاً من اتهامهم بالكفر، مما يفسح المجال امام بعض الجهلة وقليل الاطلاع على الاسلام، للافتاء وتضليل الناس.

سؤال:

– لماذا حرَّم الاسلام تكفير المسلمين ؟





القسم الخامس

الأَديان

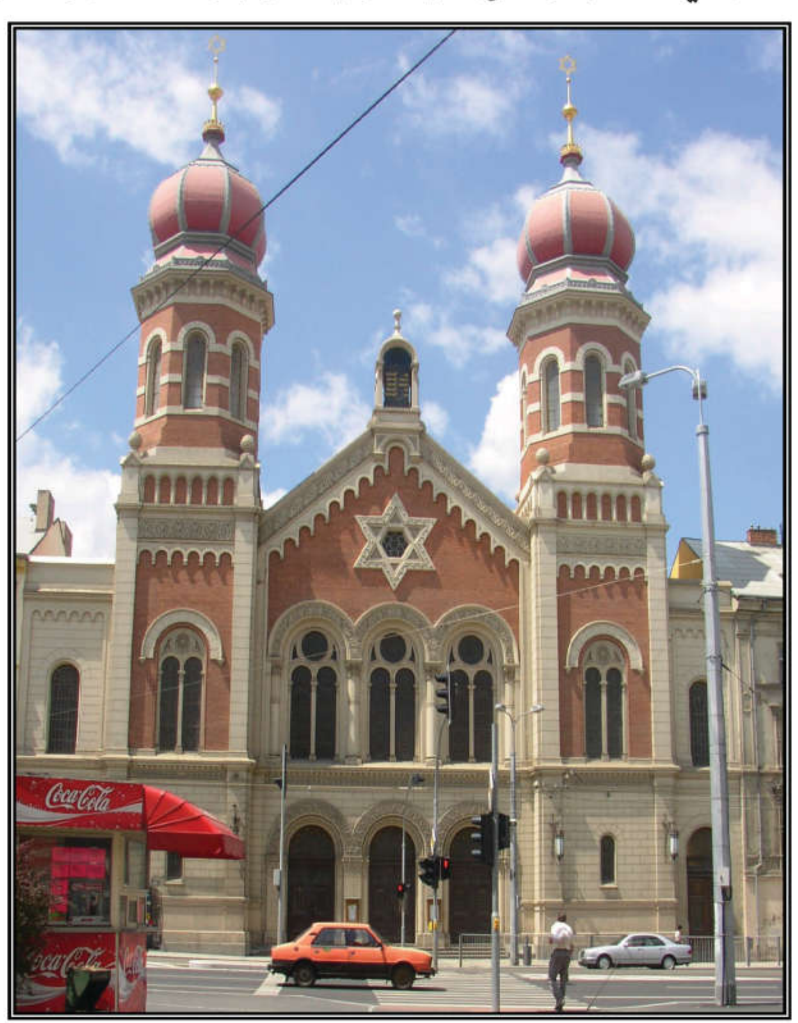
(اليهودية)

الدّرس التاسع عشر

الدين اليهودي (اليهودية)

يعد الدين اليهودي، الذي ينسب تأْريخياً الى بني اسرائيل، احد الاديان السماوية الثلاث.

بني اسرائيل: يرجع نسبهم الى نبي الله ابراهيم(عليه السلام) الذي رزق بولدٍ فسماه (اسحاق) الذي رزق بدوره بولد سماه (يعقوب)؛ الا انّ يعقوب ابن اسحاق كان يطلق عليه اسمٌ آخر وهو (اسرائيل)، لهذا اطلق لفظ بني اسرائيل او الاسرائيليين على ابنائه، ولم يلبث وقت طويل حتى كثر عددهم، وفي سعيهم للبحث عن المراعي الخصبة ومنابع المياه الوفيرة، توجهوا الى مصر وسكنوا فيها.



كنيس يهودي

كان المصريون في ذلك العهد يعبدون الاصنام، ولهم الهة متعددة، فخافوا من زيادة عدد العبريين واختلاف عقيدتهم، فجمع فرعون حاكم مصر آنذاك رجال الدين والكهنة، ولمواجهة هذا الخطر اقترح الكهنة على فرعون ان يستعبدهم، حتى لا يصبحوا مثل المصريين ويعتنقوا دينهم، وقبل فرعون هذا المقترح، وبهذا الشكل انحرف العبريون عن عقيدة التوحيد التي اخذوها من نبي الله ابراهيم(عليه السلام) واضافوا اليها الكثير من الامور المتعلقة بالوثنية وبعبادة الالهة المتعددة، ورغم ذلك فانهم لم يكونوا يختلطون بالمصريين كثيراً، وكان عددهم في ازدياد مستمر؛ لذلك قرر فرعون ان يقتل الذكور من المواليد الجدد، ويزوج بناتهم من المصريين، لينصهروا في بوتقة المصريين.

ولادة موسى (عليه السلام)

في تلك الاثناء ولد موسى (عليه السلام) وتمكنت امه من اخفائه لمدة ثلاثة اشهر عن عيون رجال فرعون، ثمّ جاءها الوحي من الله سبحانه وتعالى لتضعه في صندوق وترمي به في نهر النيل، ((إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴿٣٨﴾أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ... ﴿٣٩﴾))(طه ٣٨-٣٩) اخذت المياه الصندوق الذي فيه نبي الله موسى(عليه السلام) ومنقذ بني اسرائيل الى مكان قريب من قصر فرعون، رأته زوجة فرعون فعجبت منه وتمكنت من اقناع زوجها ان يبقي عليه وان لا يقتله، وتمنت ان لا يكون عبرياً فتربيه ليصبح قرَّة عين لها.

في احد الايام راى موسى احد المراقبين المكلفين بمراقبة العبيد العبريين، يضرب عبدين عبريين بقسوة، فلم يتمالك نفسه فضرب المصري الذي مات على أثر ذلك، وانكشف الامر فترك موسى مصر ليصل الى صحراء مدين بالقرب من خليج العقبة، وبقي هناك في بيت نبي الله شعيب(عليه السلام) مدة ثماني سنوات، وتزوج من احدى ابنتيه، وفي ليلة قارصة البرودة دعا الله عزّ وجلّ موسى(عليه السلام) واوحى اليه انه اختاره نبياً له، وليطمئن قلبه عرض عليه بعض المعجزات.

أمر الله تعالى موسى(عليه السلام) بان يذهب الى فرعون ويدعوه الى عقيدة التوحيد، فطلب موسى ان يصاحبه اخوه (هارون) ليشدّ من أَزره، وذهب موسى الى فرعون وطلب منه ان يعتق شعبه من العبودية، ليكونوا احراراً في عبادة الله الواحد الذي يؤمنون به((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ))(الاعراف ١٠٤)، فسأله فرعون ما اسم الهك ؟ ((قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى))(طه ٤٩) فاجابه موسى: رب العالمين. فقال: لم اسمع باله من هذا القبيل، فانا ربُّ كل الالهة؛ لذا لن اسمح بتحرير ورحيل بني اسرائيل، ويجب ان يبقوا عبيداً لي ولشعبي.

عرض موسى على فرعون معجزاته؛ لكنه لم يؤمن، وزاد من العقوبات على بني اسرائيل، حذر موسى فرعون من عواقب اعماله السيئة، وانتقام الله تعالى، لكن دون فائدة، وبعد معجزات عدة واحداث مختلفة سمح فرعون لبني اسرائيل بالرحيل، وعندما رحلوا بُلِّغ فرعون بانهم اخذوا الكثير من المصوغات والحلي التي يمتلكها المصريون، فلحق بهم فرعون بجيشه، ووصل اليهم على ساحل البحر الاحمر، وهناك خلَّص الله بني اسرائيل المنكوبين، وفتح لهم طرقاً سالكة في البحر، وغرق فرعون وجنوده، ومازالت مومياء ذلك الفرعون محفوظة الى الان في المتحف.

الوصايا العشر لموسى (كما وردت في التوراة)

قبل انتقاله الى الرفيق الاعلى، ترك نبي الله موسى لقومه عشر وصايا، ليلتزموا بها وتكون منهجاً لحياتهم، وهي:

١ – لا تعبدوا الهاً غير الله (يهوا).

٢ – لا تعبدوا نصباً او صنماً.

٣ – لا تجعلوا من اسم (يهوا) مادة للسخرية (لا تتحدث بالسوء باسم ربك يهوا).

٤ – اجعلوا من اليوم السابع من الاسبوع –وهو يوم السبت– يوم راحة واجعلوه مقدساً، ويوم عطلة وعبادة الله.

٥ – احترموا امهاتكم وآبائكم.

٦ – لا تقتلوا الناس.

٧ – لا تحيدوا عن الطريق الصحيح (لا تزنوا).

٨ – لا تسرقوا.

٩ – لا تقسموا كذباً، واجتنبوا شهادة الزور.

١٠– لا تحسدوا الناس، ولا تتمنوا ما لديهم.

كتاب اليهود المقدس

(التوراة) هو الكتاب المقدس لليهود، وحسب عقيدتنا فانه اساساً رسالة الهية انزلها الله الى نبيه موسى من السماء؛ لكن رجال الدين اليهود قسموا الكتاب على النحو الآتي:

العهد القديم: وهو مقدس لدى اليهود والمسيحيين، وهو عبارة عن مجموعة قصائد شعرية ونثر وحكم وعبر وقصص واساطير وفلسفة وتشريع ورثاء، ويقسم الى قسمين:

١ – التوراة : ويتألف من (٥) أسفار، التكوين، الخروج، اللاوين، العدد، والتثنية، وتسمى اسفار موسى.

لكن ما تجدر الاشارة اليه ان التوراة الذي نزل على موسى، ضاعت نسخته عند تدمير المعبد، خلال حملة الملك البابلي (بخت نصر)، فكتب من جديد، وبهذا لم يسلم من الاضافات.

٢ – أسفار الأنبياء: وهو نوعان:

أ – أسفار الأنبياء الأوائل: يشوع، يوشع ابن نون، القضاة ، موتيل الاول، صاموئيل الثاني، پادشاكان الاول، پادشاكان الثاني.

ب –أسفار الأنبياء المتأَخرين: أشقيا، ارميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونس، ميخا، ناحوم، حَبَقَوق، سفنيا، حَجى، زكريا، وملاخي.

ولهم كتب أُخرى هي:

١ – المدونات العظيمة: مزامير، زبور، العبر، عبر سليمان، وايوب.

٢ – المجلدات الخمس: نشيد الانشاد، راعون، مراثي، مراثي ارميا (الجامعة)، واستير.

٣ – الكتب: عزرا، نَحَميا، أَخبار الايام – الأوَل، وأَخبار الايام – الثاني.

بعض معتقداتهم الاخرى

١ – يرون ان الابن الذي طُلِبَ من ابراهيم ان يَذْبحَهُ، لم يكن اسماعيل؛ بل هو اسحاق ابن سارا.

٢ – لم يرد في دينهم شيءٌ يذكر حول البعث ويوم القيامة والثواب والعقاب في ذلك اليوم، سوى اشارة بسيطة اخذ جزءٌ منها تحت تأثير الديانة الزردشتية.

٣ – يكون الثواب والعقاب في هذه الدنيا، والثواب عبارة عن المساندة وتحقيق النجاح، والعقاب عبارة عن الفشل والذل والاستعباد.

٤ – على كل يهوديّ ان يحجّ ثلاث مرات في السنة الواحدة الى القدس في اعياد الفصح والاسابيع والمظال، من مراسيم الحج عندهم تقديم قربانٍ مشوي الى الهيكل.

٥ – التابوت: عبارة عن صندوق يعتبر اقدس واهم ثروة، تحفظ فيه الوثائق والكتب.

٦ – المذبح: مكان خاص لاحراق البخور، امام الستارة التي توجد امام التابوت.

٧ – الهيكل: عبارة عن البناية التي امر ببنائها النبي (داود) واتمّ بناءها النبي (سليمان)، وقد بنى في داخلها محراباً سمي (قدس الاقداس) وهيّأ في داخلها مكاناً خاصّاً لتابوت عهد الرَّب.

٨ – الكهانة: وهي خاصة بابناء ليفي –من ابناء يعقوب– ولهم وحدهم الحق في تحليل النصوص المقدسة وتقديم القرابين، وهم معفون من دفع الضرائب، وشخصيتهم وسيلة للتقرب الى الله، ولهذا السبب اصبحوا اكثر سلطة من الملوك.

٩ – القرابين: تشمل الانسان بالاضافة الى الحيوانات والثِّمار، ثمّ اكتفى الرّب بعضوٍ من الانسان، وهو الذي يقطع اثناء الختان، واليهود ملتزمون به الى اليوم الى جانب الحيوانات والثِّمار.

١٠– فكرة تناسخ الارواح الموجودة في التلمود اخذت من الهنود من قبل بعضهم وأُضيفت الى دينهم، وقد خلطها حاخامات بابل مع العقيدة.

١١ – دينهم مغلق عليهم، ولا يجوز لاحد ان يعتنق اليهودية.

١٢ – الطفل البكر هو اول من يرث، وله حصتان من حصة اخوته، ولا يوجد فرق في الميراث بين الطفل الشرعي وغير الشرعي.

١٣ – بعد الزواج تصبح المرأة جزءً من ممتلكات الرجل، ويصبح مالها ملكاً له، لكن وبسبب كثرة المشكلات اضطروا للاقرار بان المال ملك لها، بشرط ان تكون وارداته لزوجها.

١٤ – كل من بلغ العشرين من عمره ولم يتزوج، فانه يستحق لعنة الله، وتعدد الزوجات مسموح به بشكل مطلق، وقد حدده الربانيون باربع زوجات، لكن (القرآون) اطلقوه ولم يضعوا له حدّاً.

سؤال:

مما ورد في هذا الدرس، هل تعتقد ان اليهودية كانت في السابق في عهد نبي الله موسى، كما هي عليه الآن؟



المحتويات

